الكتاب: الشيعة في مصر من الإمام علي (ع) حتى الإمام الخميني
المؤلف: صالح الورداني
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مؤلفات المستبصرين
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م
المطبعة: مطابع ستار برس للطباعة والنشر
الناشر: مكتبة مدبولي الصغير - القاهرة
ردمك:
ملاحظات:

الشيعة في مصر
من الإمام علي حتى الإمام الخميني
صالح الورداني
مكتبة مدبولي الصغير – ٤٥ البطل أحمد عبد العزيز – المهندسين – القاهرة

حقوق الطبع محفوظ لمكتبة مدبولي الصغير
الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
مطابع ستار برس للطباعة والنشر
٤٠ ش المحولات الكهربائية - محطة المطبعة
الهرم ت: ٨٦٤١٥١
مكتبة مدبولي الصغير
٤٥ - البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد..

في منتصف الأربعينات بدأ النشاط الشيعي يبرز في مصر على يد جماعة التقريب وقد استمر هذا النشاط حتى فترة السبعينات..

وفي السبعينات ظهرت جمعية آل البيت وكانت الظروف مساعدة لها في البداية إلا أنه بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران انعكس موقف الحكومة المعادي لإيران عليها وصدر قرار بوقف نشاطها..

وفي الثمانينات انعكست الثورة الإسلامية على الواقع الإسلامي بمصر رغم كل المحاولات المستميتة التي بذلت للقضاء على تأثير هذه الثورة على مسلمي مصر ونتج رغم الحصار الإعلامي تيار شيعي أخذ مكانه وسط التيارات الإسلامية البارزة في ميدان الحركة الإسلامية.

وظهرت دار البداية أول دار نشر شيعية في مصر ثم ظهرت بعدها دار الهدف لتحقق تواجد إعلامي شيعي مستمر وسط عشرات من دور النشر السلفية الوهابية المتربصة..

ولم يكن الطريق أمام هذه النشاطات سهلا ميسورا فقد شنت عليها غارات وغارات من وقف جمعية آل البيت إلى التنظيمات الشيعية المزعومة إلى حملات الدعاية والطعن والتشويه المستمر بلا توقف من الحكومة والأزهر والسلفيين.

وكأن هذا هو قدر الشيعة الثابت. أن تطاردهم السياسة. وأن يكونوا ضحاياها أئمة وأتباعا..

ولقد أدت هذه الحملات إلى خلق رد فعل دعائي للشيعة فاق حجمها بكثير. كما أوجد قاعدة إعلامية استثمرتها حركة التشيع. ثم جاءت أزمة الخليج وما تابعها من هزات سياسية وعقائدية للدول النفطية والإسلام السلفي الذي تدعمه. تلك الهزات التي أدت إلى فتح ثغرات في جدار الوهابية المعاصرة العقيدة المتربصة بالشيعة المحرضة عليها والتي تمثل الإسلام النفطي الذي يقف في مواجهة الإسلام الشيعي..

وإذا كانت حركة التشيع في مصر قد أخذت دفعتها الكبرى بعد قيام الثورة الإسلامية. فقد أخذت امتدادها بعد أزمة الخليج التي فتحت أعين مثقفي مصر على الشيعة وأطروحتها الإسلامية التي برزت كبديل عن الأطروحة السلفية النفطية..

والقطاع الغالب من شيعة مصر اليوم هم الشباب الذين تفرخوا من خلال مرحلة الثمانينات. مرحلة الحرب على الشيعة في مصر وردود الأفعال الشيعية عليها..

وليست هناك إحصائية دقيقة بعدد الشيعة في مصر اليوم. فالشيعة منتشرون في بقاع كثيرة من مصر. وإن الذين يلتزمون بالتقية منهم ربما يكونوا أكثر من المعلنين.

وليس الهدف من دراستنا هذه هو رصد حركة التشيع جغرافيا وعدديا. بل الهدف من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على جانب مجهول من تاريخ مصر لا زال يلقى بظلاله على الواقع..

الهدف هو الإجابة على سؤال يدور في الأذهان: هل التشيع ظاهرة طارئة على المجتمع المصري...؟

أم لها جذورها العميقة فيه...؟

هل تفاعلت مصر مع التشيع وتعايشت معه أم تنافرت منه وتباعدت..؟

سوف نحاول في هذا الكتاب الإجابة على هذه التساؤلات..

وأخيرا ليس هذا الكتاب سوى محاولة للتعرف على حقيقة هامة وهي أن التشيع في مصر هو الأصل. والتسنن وافد..

ولله الحمد والشكر ومنه التوفيق والسداد..

صالح الورداني

غرة ربيع الأول عام ١٤١٤ ه

ص. ب: ١٦٣ / ١١٧٩٤

رمسيس / القاهرة

الشيعة محاولة تعريف..

الشيعة كلفظ ورد في القرآن في تسعة مواضع..
ورد لفظ: شيعة..
وورد لفظ: شيع..
وورد لفظ: أشياع..
أما لفظ " شيعة " ففي قوله تعالى: (وإن من شيعته لإبراهيم).. (١)
وفي قوله تعالى: (.. هذا من شيعته وهذا من عدوه).. (٢)
وفي قوله تعالى: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا).. (٣)
وأما لفظ " شيع " ففي قوله تعالى: (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين).. (٤)
وفي قوله تعالى: (.. أو يلبسكم شيعا).. (٥)
وفي قوله تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا..) (٦)
وفي قوله تعالى: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا).. (٧)
وجاء لفظ " أشياع " في قوله تعالى: (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر).. (٨)
وفي قوله تعالى: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل).. (٩)

وفي الأحاديث وردت في عدة مواضع نذكر منها:
قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: [إن هذا - يقصد عليا - وشيعته لهم الفائزون].. (١٠)
وقوله: [وسألت ربي ألا يلبسهم شيعا].. (١١)
وقول الإمام علي في وقعة الجمل: [قتلوا شيعتي وعمالي].. (١٢)
* الشيعة في الأحاديث:
ومن هذه الإشارات يتبين لنا أن كلمة شيعة إنما هي قديمة وهي كمصطلح تخص فئة معينة من المسلمين هي الفئة التي اتبعت الإمام علي ووالته وناصرته وهناك إشارات قوية كالحديث السابق ذكره تفيد أن الشيعة كجماعة وكتيار كان لها وجودها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.
تأمل قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:.. ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي.. (١٣)
فهذا الحديث يشير أيضا إلى أن هناك فئة أو تيار يريد أن ينحرف عن آل البيت. من أجل ذلك قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الكلام الذي هو بمثابة وصية لأمته في حجة الوداع..
وهناك أحاديث أخرى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم تحدد أن الإمام على هو الفيصل بين الحق والباطل والمسلم والمنافق مثل قول حذيفة: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيئين: صلاة العتمة وبغض الإمام علي.. (١٤)
يقول أبو حاتم الرازي: أن الشيعة لقب قوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حياة الرسول وعرفوا به مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري

والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وغيرهم. وكانوا يقال لهم: شيعة علي وأصحاب علي.. (١٥)

إن ما تذكره كتب السيرة وكتب التاريخ أن الإمام علي كانت له شيعة متميزة ومعروفة بالأسماء في عهد الرسول وهي الفئة التي تحالفت معه ورفضت بيعة أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن هذه الأسماء غير ما ذكر أبو حاتم: ابن عباس والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن بديل الذي قتل مع علي في صفين وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وإبراهيم وأبو رافع وحذيفة بن اليمان.

وهؤلاء وغيرهم كانوا من شيعة علي من بين الصحابة وجميعهم أصحاب فضل ومكانة ودور بارز في حركة الدعوة الإسلامية.

وما تشيع هؤلاء لعلي إلا لمكانته الخاصة التي وضعه فيها الرسول والتي تشير إليها الأحاديث الصحيحة الواردة في كتب السنن والتي تفهم منها الشيعة أن للإمام علي دور خاص من بعد الرسول.. (١٦)

أما الطرف السني فيفهم النصوص الواردة في الإمام علي. على أساس أنها فضائل لا تجعل له ميزة خاصة حتى أنهم ساووه بمعاوية.. (١٧)

* مصدر التلقي:

من هنا حصر الشيعة مصدر التلقي في دائرة آل البيت واعتبروهم قدوتهم وقادتهم وولايتهم واجبة باعتبارهم الفئة الموكل لها حفظ الدين من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.. (١٨)

أما أهل السنة فدائرة التلقي عندهم لا حدود لها فهم يتلقون دينهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين دون تمييز على أساس حديث [خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه] (١٩)

وأهل السنة يقرون بمكانة آل البيت ويعترفون بفضلهم وحبهم غير أن هذا الموقف لا يخرج عن كونه موقف تبريري في مواجهة النصوص الكثيرة الخاصة

بآل البيت. ذلك الموقف الذي اضطرهم إلى تأويل هذه النصوص إلى معان أخرى ووجهوها وجهة عكس وجهة الشيعة.. (٢٠)
ومن الملاحظ للباحثين أن فقه آل البيت وعلومهم لا وجود له في تراث أهل السنة كذلك الأمر بالنسبة للأحاديث التي رويت من طرقهم والتي لا وجود لها في البخاري وكتب السنن الأخرى.. (٢١)
وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على تدخل السياسة في حركة تدوين التراث الإسلامي بحيث حكرته في طائفة محددة هي أهل السنة وحرمت الأمة من نتاجات المدارس الأخرى وفي مقدمتها مدرسة آل البيت.. (٢٢)
يقول السيد مرتضى العسكري: أما كيف نشأ الخلاف في كل هذه المسائل؟ فلعل الباحث المتتبع يدرك بسهولة ويسر أنها نشأت على أثر تدخل الحكام فيها مدى القرون. فإن الحكام – على الأغلب – كانوا إذا اقتضت سياسة الحكم عندهم أمرا أقروه ثم أول المتزلفون إليهم القرآن بموجبه ورووا الحديث عن النبي في تأييدهم.. ثم أصبح ما تبناه الحكام قانونا يعمل به ومثل الإسلام الرسمي. وأهمل ما خالفه ونبذ المخالف وعوقب بقسوة إلى حد القتل تارة. وأخرى دون ذلك. وأخيرا ارتأت السلطات أن تقسر الأمة على الأخذ بفتاوى أحد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه وآراء الأشعري في العقائد..
وجمد طوائف من المسلمين على تقليد مؤلفي الصحاح في الحديث وخاصة البخاري ومسلم. فسدوا على أنفسهم باب العلم بسدهم باب البحث في الحديث كما سد عليهم باب الاجتهاد بقسرهم على تقليد أحد المذاهب الأربعة.
وإذا كانت غالبية الأمة تابعت حكامها في ما أقرت وتبنت. فقد كان في الأمة أئمة جاهدت في سبيل الحفاظ على التشريع الإسلامي من الضياع والتبديل وعلى سنة الرسول من التحريف والتصحيف. وأولئك هم أئمة أهل بيت الرسالة. وتابعهم من الأمة من سموا بشيعة أهل البيت حمل علماؤهم الحديث بعد النبي عن أئمة أهل البيت متمثلين بقول الشاعر:

ووال أناسا قولهم وحديثهم * روى جدنا عن جبرائيل عن الباري..
ولما كان الناس على دين ملوكهم رأوا الإسلام متمثلا بحكامهم وما تبنوه من حكم وعقيدة وسنة منسوبة إلى النبي وسموا من تابع الحكام بأهل السنة والجماعة..
وسموا من خالف الحكام وتابع أئمة أهل البيت بالرفضة وطاردت الحكومات المتعاقبة أئمة آل البيت أولا. ثم طاردت شيعتهم من بعدهم ورمتهم بأنواع التهم.. (٢٣)
* أصول الشيعة:
يعتقد الشيعة أن أصول الدين أربعة هي:
- التوحيد..
- النبوة..
- الإمامة..
- المعاد..
أما التوحيد فيعني لا إله إلا الله وعدم وجود شريك له في الربوبية وإخلاص العبادة له فمن أشرك في عبادته أحدا من خلقه كفر. وكون الشيعة تبيح التبرك بأئمة آل البيت والتوسل إلى الله بمنزلتهم لا يتناقض هذا مع مفهوم إخلاص العبادة لله.. (٢٤)
وفيما يتعلق بالأسماء والصفات يتبنى الشيعة موقفا يختلف مع أهل السنة ويلتقي مع المعتزلة في بعض جوانبه.. (٢٥)
أما النبوة فتعني شهادة أن محمدا رسول الله. وتعني الإيمان بجميع الأنبياء والرسل.
وتعني الإيمان بعصمة الرسول عصمة كلية من الخطأ والخطيئة طوال حياته.. (٢٦)

وتؤمن الشيعة أن الكتاب الذي أنزل على محمد لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وهو ما عليه الإجماع. ومن اعتقد أو ادعى النبوة أو نزول وحي أو كتاب عليه بعد النبي فهو كافر.. (٢٧)

والإمامة هي الأصل الذي تتميز به الشيعة على أهل السنة وسائر الفرق الأخرى وهي تعني أن النبي ينص على الإمام من بعده بوحي من الله وهو قد نص على علي. وعلي نص على الحسن. والحسن نص على الحسين. والحسين نص على علي زين العابدين. وعلي نص علي الباقر. والباقر نص علي جعفر الصادق. والصادق نص على موسى الكاظم. والكاظم نص على علي الرضا. والرضا نص على محمد الجواد. والجواد نص على علي الهادي. والهادي نص على الحسن العسكري. والعسكري عين الإمام المهدي المنتظر.. (٢٨)

وتعتقد الشيعة بعصمة الأئمة وهي نتيجة منطقية لاعتقادهم أن الإمامة منصب إلهي امتداد لمنصب الرسول لكن عصمة الإمام تعد أقل من عصمة الرسول على أساس أن مهمة الإمام هي مهمة تكميلية أقل من مهمة الرسول.

ونظرا لكون الشيعة تتعبد بالنصوص وهي التي تقوم عقائدها على أساسها فإن قضية عصمة الأئمة لها أدلتها من الكتاب والسنة.. (٢٩)

أما المعاد فيقصد به البعث والحساب والجنة والنار والملائكة إلى كل ما يتعلق بالغيب وهم بهذا الاعتقاد يلتقون مع أهل السنة وسائر المسلمين..

لقد طاردت السياسة حركة التشيع وحاصرتها وألصقت بها شتى الأسماء والمسميات فتارة يسمونها السبئية نسبة لعبد الله بن سبأ اليهودي.. (٣٠)

وتارة يسمونها الرافضة وتارة يسمونها الجعفرية وهي مسميات تفوح منها رائحة السياسة.. (٣١)

ولقد عمدت كتب الفرق إلى محاولة تصوير الشيعة وكأنها فرقة ممزقة متناقضة تتصارع تياراتها فيما بينها حول أفكار ساذجة سطحية مع تعمد تصوير أهل السنة. وكأنهم الحكم والمقياس في الخلافات التي وقعت بين الفرق.. (٣٢)

ومع الأسف وقع كثير من المصنفين والباحثين على مستوى الماضي والحاضر في متاهة الفرق واعتمدوا هذه الكتب كمراجع معصومة.. عند الحكم على الشيعة أو أي فرقة مخالفة لنهج أهل السنة.. (٣٣)

هوامش:
(١) سورة الصافات..
(٢) سورة القصص..
(٣) سورة مريم..
(٤) سورة الحجر..
(٥) سورة الأنعام..
(٦) سورة الأنعام..
(٧) سورة القصص..
(٨) سورة القمر..
(٩) سورة سبأ..
(١٠) الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالمأثور. تفسير قوله تعالى (أولئك خير البرية) قال المصنف السيوطي: أخرج بن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل علي. فقال النبي: [والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة]..
(١١) مسند أحمد بن حنبل وسنن ابن ماجة كتاب الفتن..
(١٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم..
(١٣) رواه مسلم في باب فضائل الإمام علي. كما رواه أحمد والهيثمي في مجمع الزوائد. كذلك رواه الترمذي والحاكم. وانظر حديث الغدير الشهير الذي يقول فيه الرسول لعلي: [اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه].. رواه أحمد بإسناد صحيح. ويذكر أن هذا الحديث جزء من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع..
(١٤) رواه مسلم. وعن علي قال: [عهد إلي النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبني إلا مؤمن. ولا يبغضني إلا منافق].. راجع صحيح مسلم كتاب

الإيمان. ومسند أحمد والترمذي وابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(١٥) كتاب الزينة وهو مخطوط. وأبو حاتم من أعيان القرن الرابع. توفي ٣٢٢ ه
(١٦) من هذه الأحاديث حديث الثقلين المذكور. وحديث [أنت مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبي بعدي].. أخرجه الستة.. وحديث [لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله].. وقد أعطاها الرسول عليا. رواه أحمد والترمذي ومسلم وحديث الكساء المشهور الذي جمع فيه الرسول أهل بيته وهم علي وفاطمة والحسن والحسين وأدخلهم تحت كساءه وقال: [اللهم إن هؤلاء آل بيتي] وغيرها كثير..
(١٧) يعتقد أهل السنة أن الصحابة جميعهم عدول وهنا يتساوى معاوية مع الإمام علي. كما يعتقدون أن جميع المخالفات والجنايات التي ارتكبها الصحابة هي من قبيل الاجتهاد المستحق صاحبه للثواب. راجع العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي وراجع لنا حركة آل البيت وعقائد السنة وعقائد الشيعة..
(١٨) هنا تبرز قضية الإمامة عند الشيعة وأهميتها ودورها في حفظ الدين بعد الرسول وإقامة الحجة والتعبير الحقيقي عن الإسلام في وسط ممزق واتجاهات تبرز للإسلام صورا مريبة ومنقوصة.
(١٩) رواه البخاري باب فضائل أصحاب النبي انظر العقيدة الطحاوية والعواصم من القواصم..
(٢٠) يعرف أهل السنة آل البيت على أنهم بنو عبد المطلب. والبعض قال إنهم قريش كلهم. وقال البعض إنهم علي وفاطمة والحسن والحسين وأزواج النبي والعباس وولده. والمشهور أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة. وهذا الخلاف في التعريف فيه رائحة السياسة إذ الهدف منه تمييع فكرة آل البيت في نفوس المسلمين حتى لا تتجه أبصارهم نحو علي وأولاده الذين قصدهم

الرسول وعرفهم. أنظر العقيدة الواسطية لابن تيمية والعقيدة الطحاوية للطحاوي..

(٢١) لا يوجد من بين علماء السنة من يستشهد بكتب الفقه الشيعية أو يعترف بها. وهناك تحذيرات متوارثة عبر الأجيال المسلمة من كتب معينة لمجرد أن أصحابها متهمون بالتشيع مثل مروج الذهب للمسعودي وهو كتاب تاريخ. والإمامة والسياسة لابن قتيبة. وتاريخ الطبري..

(٢٢) عاصر البخاري ومسلم وجامعي الأحاديث أئمة آل البيت في زمانهم ولم يرووا عنهم مع أنهم الأقرب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأسباب واضحة. ومن المعروف أن مدرسة آل البيت أسست معظم علوم الإسلام من فقه وحديث وتفسير ولغة وغيرها. أنظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر..

(٢٣) مقدمة كتاب أصل الشيعة وأصولها. وللتوسع في هذا الأمر أنظر تاريخ الشيعة للمظفر وأضواء على السنة لمحمود أبو رية والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين – وتاريخ الحديث للسيد مرتضى العسكري. ومن المعروف أن الظاهر بيبرس أصدر مرسوما بغرض المذاهب الأربعة وتحريم ما عداها عام ٦٦٥ ه. أنظر الخطط للمقريزي ص ١٦١.

(٢٤) هذا ما تقول به المذاهب الأربعة وكثير من أهل العلم ولم يشذ عنه سوى بعض الحنابلة وفي مقدمتهم ابن تيمية الذي ارتكزت على موقفه الدعوة الوهابية في العصر الحديث..

(٢٥) ترفض الشيعة كل الروايات التي وردت في السنن والتي تصور أن الله يضحك أو يضع قدمه في النار أو ينزل إلى السماء الدنيا أو يرى يوم القيامة. فكل هذه وأمثالها نصوص تؤدي إلى التشبيه والتجسيم. وهذه النصوص محل تسليم مطلق عند السنة. انظر العقيدة الطحاوية للطحاوي والعقيدة الواسطية لابن تيمية وكتب العقائد..

ويميل الشيعة إلى تأويل النصوص المتعلقة بأسماء الله وصفاته. فيؤولون اليد في الآيات بالقدرة والعرش بالاستيلاء والوجه بالذات ومجئ الله بمجيئ أمره إلى آخر الآيات التي تتعلق بالأسماء والصفات.. أنظر عقائد الإمامية. واليقين في معرفة أصول الدين ودراسات في العقيدة الإسلامية. وانظر لنا عقائد الشيعة وعقائد السنة..

(٢٦) العصمة عند أهل السنة جزئية. أي أن الرسول معصوم في جانب التبليغ فقط ويجوز عليه الخطأ والنسيان حتى أنه سحر وكان يقول القول ولا يدري ويأتي النساء ولا يأتيها. أنظر أحاديث السحر في البخاري وأنظر لنا فقه الهزيمة فصل شخصية الرسول..

(٢٧) الأخبار الواردة عن تحريف القرآن من طرق الشيعة ضعيفة وشاذة. ويذكر أن هناك أخبار لدى السنة تفيد تحريف القرآن أيضا. أنظر كتب تاريخ القرآن مثل تاريخ القرآن للزنجاني وعبد الصبور شاهين وانظر حديث حذيفة بصحيح مسلم باب الزكاة الذي يفيد أنه كانت هناك سورا متداولة بين الصحابة غير سور القرآن. وانظر أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة..

(٢٨) هؤلاء هم الأئمة الاثني عشر الذين تحصر الشيعة مفهوم آل البيت في دائرتهم وقد بشرت بهم الأحاديث عند السنة والشيعة. غير أن السنة لا تذكر أسمائهم وتعتقد أن منهم الخلفاء الأربعة واختلفوا في الثمانية الباقين بين خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس. راجع شرح الحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري آخر باب الأحكام وفي صحيح مسلم شرح النووي وفي العقيدة الطحاوية وتاريخ الخلفاء للسيوطي.. وفيما يتعلق بالإمام المهدي فالشيعة تعتقد في غيبته وأنه حي مستور منذ عام ٢٥٥ ه وهذا الاعتقاد له أدلته ومبرراته عندهم..

(٢٩) في مقدمة أدلة الشيعة في قضية العصمة قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).. الأحزاب.. وقول

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي].. أنظر لنا الشيعة والسنة حوارات ومناقشات. وانظر عقائد الإمامية واليقين في أصول الدين. وتقابل فكرة العصمة عند الشيعة فكرة عدالة الصحابة عند السنة. والفرق بينهما أن الشيعة حصرتها في الأئمة اثنى عشر بينما السنة أشاعتها في جميع الصحابة. أنظر العقيدة الواسطية وتأمل كلام ابن تيمية عن الصحابة.. وكذلك العواصم من القواصم.

(٣٠) إلصاق الشيعة بابن سبأ الهدف منه التشكيك في نشأة الشيعة وربطها باليهود انظر عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للسيد مرتضى العسكري. وعبد الله بن سبأ دراسة تاريخية. وهي كتب تبحث في حقيقة ابن سبأ وتخرج في النهاية بنتيجة مفادها أن ابن سبأ شخصية وهمية.

(٣١) ألصق اسم الرافضة بالشيعة لرفض الشيعة لزيد بن علي بن الحسين لأنه أقر بخلافة أبي بكر وعمر حسبما يقال. أما اسم الجعفرية فقد ألصق بالشيعة نتيجة لحالة البروز العلمي العلني في عهد الإمام السادس جعفر الصادق والتي كانت حالة البروز الأولى في تاريخ الشيعة..

(٣٢) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي. والملل والنحل للشهرستاني ومقالات الإسلاميين للأشعري..

(٣٣) أنظر لنا فقه الهزيمة فصل العقيدة.. وعقائد السنة وعقائد الشيعة..

التاريخ يتكلم

هل – التشيع في مصر بدأ مع الفاطميين..؟
يجيب المقريزي بقوله كان التشييع معروفا بأرض مصر قبل ذلك. وينقل رواية الكندي في كتاب " الموالي " عن عبد الله بن لهيعة أنه قال قال يزيد بن أبي حبيب: نشأت بمصر وهي علوية فقلبتها عثمانية.. (١)
ويذكر لنا التاريخ ثورة محمد بن أبي حذيفة في مصر عام ٣٥ ه والتي خلع فيها والي عثمان عقبة بن عامر وجمع الناس وألبهم على عثمان ودخل في صدام مع أنصاره في مصر وحبس بعضهم بعد أن تمكن منهم وهم " بسر بن أرطأة " و " معاوية بن خديج ". ثم بعث ابن أبي حذيفة بقوة إلى عثمان بالمدينة ساهمت في الثورة عليه وقتله.. (٢)
وحين عادت القوة إلى مصر بعد مصرع عثمان دخلت البلاد وهي ترتجل:
* خذها إليك واحذرن أبا الحسن *
* إنا نمر الحرب إمرار الوسن *
* بالسيف كي تخمد نيران الفتن.. *
فلما دخلوا المسجد صاحوا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله.. (٣)

وكان من أمر شيعة عثمان أن جمعوا صفوفهم وانطلقوا إلى معاوية وبايعوه على الطلب بدم عثمان. فسار بهم معاوية إلى الصعيد وهزم أصحاب ابن أبي حذيفة..

وبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليه قيس بن حرمل فاقتتلوا في (خربتا) أول شهر رمضان عام ٣٦ ه فقتل قيس وسار معاوية إلى مصر فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه أن يدخلها ثم حدث اتفاق بين الطرفين على أن يسلم قادة الشيعة الثلاثة أنفسهم لمعاوية كرهائن إلى حين يتم القبض على قتلة عثمان إلا أن معاوية غدر بالقادة الثلاثة واستولى على مصر.. (٤)

ولما بلغ علي بن مصاب أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجين بأهل خربتا ومصر يومئذ من جيش علي إلا أهل خربتا الخارجين بها.. (٥)

ثم أوقع معاوية بين قيس والإمام علي. وتم عزل قيس وتولية محمد بن أبي بكر الذي لم يتمكن من الصمود أمام جيش معاوية بقيادة عمرو بن العاص وسقط قتيلا في عام ٣٨ ه ولم يمكث في الحكم سوى خمسة أشهر.. (٦)

ويبدو أن محمد بن أبي بكر استفز القوم في مصر كما لم يتمكن من التصدي لهذا التحدي الخارجي القادم من الشام بالإضافة إلى مواجهة الفتن في الداخل..

وبعد سقوط بني أمية وقيام دولة بني العباس ظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر وتكلم الناس بها. وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله. وكان أول علوي قدم مصر. وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن حبيش الصوفي من خاصة الإمام علي وشيعته وحضر الدار في قتل عثمان.. (٧)

وما زالت شيعة علي بمصر إلى أن ورد كتاب المتوكل على الله إلى مصر يأمر فيه بإخراج آل أبي طالب من مصر إلى العراق فأخرجوا في رجب عام ٢٣٦ ه.. واستتر من كان بمصر على رأس العلوية. وقام يزيد بن عبد الله أمير مصر يومئذ بتتبع الروافض وحملهم إلى العراق..

ومات المتوكل وجاء المستنصر فورد كتابه إلى مصر بألا يقبل علوي ضيعه. ولا يركب فرسا. ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها. وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد. ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة.. (٨)

وجاء المستعين واستمرت سياسة التهجير لشيعة مصر من الطالبيين..

وهذه السياسة التي مارستها حكومات بني العباس ضد أبناء آل البيت في مصر إنما كان الهدف منها القضاء على الوجود الشيعي في مصر بنفي قيادات الشيعة والعناصر الفاعلة في دائرتها ليتم عزل جماهير الشيعة تمهيدا لاحتوائها وتصفيتها..

وفي عام ٢٥٢ ه قامت ثورة شيعية بالإسكندرية بقيادة جابر بن الوليد المدلجي واجتمع إليه خلق كثير من بني مدلج وهزم جيش العباسيين وقوي أمره وأتاه الناس وتمكن من السيطرة على الوجه البحري. إلا أن هذه الثورة لم تنجح.. (٩)

ثم حدثت ثورة أخرى صغيرة قادها بغا الأكبر - يمتد نسبه إلى الحسين - في الصعيد. وقامت بعدها ثورة أخرى قادها بغا الأصغر فيما بين الإسكندرية وبرقة في عام ٢٥٥ ه. في عهد ابن طولون وسار في جمع إلى الصعيد لكنه قتل..

وثار ابن الصوفي العلوي في الصعيد واستولى على إسنا وهزم جيش ابن طولون لكنه هزم في إخميم وفر إلى مكة وقبض عليه ابن طولون بعد ذلك..

وفي عهد خمارويه بن أحمد بن طولون ظهر رجل ينكر أن أحدا خيرا من أهل البيت فوثب عليه العامة وضرب بالسياط في عام ٢٨٥ ه.. (١٠)

وحدث صدام بين جمع من الأهالي والجند أمام الجامع العتيق - جامع عمرو - بسبب لوحة على باب الجامع ذكر فيها الصحابة والقرآن. وأراد الأهالي خلعها فتصدى لهم الجند ووقعت إصابات في الجانبين.. (١١)

يقول المقريزي: وما زال أمر الشيعة يقوى في مصر إلى أن دخلت سنة ٣٥٠ ه ففي يوم عاشوراء وقعت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم

العلوية بسبب ذكر السلف والنوح وقتل فيها جماعة من الطرفين.. وتعصب السودان – الجنود – على الرعية فكانوا إذا لقوا أحدا قالوا: من خالك..؟ فإن لم يقل معاوية بطشوا به وشلحوه. ثم كثر القول: معاوية خال علي.. (١٢)

وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل يوم جمعة في رجوة الناس من الخاص والعام: معاوية خالي وخال المؤمنين. وكاتب الوحي ورديف رسول الله – وهذا أحسن ما يقولونه – وإلا فقد كانوا يقولون: معاوية خال علي من ها هنا – ويشيرون إلى أصل الأذن – ويلقون أبا جعفر الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه. وكان بمصر أسود يصيح دائما: معاوية خال علي فقتل بتنيس أيام القائد جوهر.. (١٣)

وقد قام خصوم الشيعة في مصر بمظاهرة في عهد كافور الأخشيدي يطالبونه فيها بنصرة إخوانهم الذين ثار عليهم الطالبيين بمكة.. (١٤)

واستمرت مطاردة الشيعة وضربهم كلما ظهرت لهم شعيرة أو ارتفع لهم صوت وضرب رجل شيعي بالسياط وجعل في عنقه غل وحبس حتى مات وأراد العامة نبش قبره إلا أن جند كافور منعوهم..

وفي عام ٣٥٦ ه كتب على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل أي تفضيل أبي بكر على علي. لكن كافور أمر بإزالته..

ومثل هذا السرد التاريخي إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشيعة كان لها وجودها البارز والفعال على الساحة المصرية وفي قلب القاعدة الشعبية. وهذه الوقائع تشهد على هذا فهي رد فعل سني تجاه هذا التواجد المستفز لهم..

* بين العباسيين والفاطميين:

وبعد سقوط الأخشيديين ودخول الفاطميين مصر ظهر مذهب التشيع وأذن في مساجد مصر الجامعة وغيرها: حي على خير العمل. وبدأت الشعارات الشيعية تبرز على ساحة الواقع ومنها الجهر بأفضلية علي والصلاة عليه وعلى الحسن

والحسين وفاطمة.
ودارت الدائرة وهم جوهر الصقلي بإحراق رحبة الصيارفة بسبب تظاهرهم ضد الحكومة رافعين شعار: معاوية خال علي.. (١٥)
وصدر الأمر بالجهر بالبسملة وكتب على سائر الأماكن في مصر: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي. وأمر بالصوم والفطر على مذهب الشيعة. وقطعت صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية.. (١٦)
وفي ربيع ٣٨٥ ه جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت. وتسارع الناس إلى الدخول في الدعوة فقدموا من سائر النواحي والضياع فكان للرجال يوم الأحد والنساء يوم الأربعاء. للأشراف وذوي الحاجة يوم الثلاثاء. وتزاحم الناس على الدخول في الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء.. (١٧)
ولم تواجه جماهير السنة في مصر أية ضغوط من قبل الدولة الفاطمية لإجبارها على التخلي عن مذهبها كما أشاع خصوم الفاطميين. وإنما الجماهير هي التي زحفت طواعية نحو دعوة آل البيت حتى تحول أنصار مذهب السنة إلى أقلية.
وقد كانت الحرب الدعائية على أشدها ضد الفاطميين من قبل العباسيين في بغداد. ومن صور هذه الحرب إعلان العباسيين وثيقة وقع عليها وجهاء من السنة. والشيعة تدعي بطلان دعوى الفاطميين في الانتساب إلى آل البيت.. (١٨)
وقد تأثرت الكتابات التاريخية التي رصدت تلك الفترة بهذه الحرب وانحازت إلى صف العباسيين السنة. وبرز هذا الأمر بوضوح بعد سقوط الدولة الفاطمية على أيدي الأيوبيين.. (١٩)
ويدافع المقريزي عن حملات التشكيك التي وجهت للفاطميين في مسألة نسبهم لآل البيت ومحاولة نسبتهم لليهود والمجوس..

يقول المقريزي: وهذه أقوال إن أنصفت يتبين لك أنها موضوعة. فإن بني علي قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة. فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوس أو لابن يهودي. فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف.. وإنما جاء ذلك من قبيل ضعفة خلفاء بني العباس عندما غضوا بمكان الفاطميين. وأسجل القضاء بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى وأبو حامد الإسفراييني في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة ٤٠٢ ه أيام القادر.. وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها إنما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطيرون من بني علي الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة. فنقل الأخباريون وأهل التاريخ. ذلك كما سمعوه ورووه حسبما تلقوه من غير تدبر.. (٢٠)

* الفاطميون ومصر:

لم تستفد مصر من ولاتها الذين حكموها منذ الفتح الإسلامي قدر ما استفادت وانتفعت من الفاطميين على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية وأن بناء القاهرة والجامع الأزهر لهما خير دليل على ذلك..

والتاريخ يحدثنا عن نهضة واسعة في الحياة الفكرية والأدبية في العصر الفاطمي كما يحدثنا عن ازدهار العلوم الفلسفية والرياضيات والفلك والتنجيم والطب.

ويقول الدكتور محمد كامل حسين:.. في العصر الفاطمي نرى تطورا جارفا في الحياة الفكرية ولا سيما في العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها. إذ ازدهرت هذه العلوم ورعاها الخلفاء الفاطميون. بل كان هؤلاء الخلفاء من العلماء المبرزين في بعض هذه العلوم. وخاصة في الإلهيات والفلك.. وقد اهتم الفاطميون برصد النجوم واهتموا بعلماء الرياضيات اهتماما خاصا.. كما اهتموا بالشعر واتخذوه وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية. وكان الفاطميون أساتذة فن الدعاية واتخذوا لها كل الوسائل الممكنة في عصرهم وجندوا للدعاية كل من يفيدهم في هذا

المضمار.. ولا أكاد أعرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد. أو اهتمت بهم هذا الاهتمام فلا غرو إذا إن ازدهر الشعر المصري ازدهارا لم يعرف من قبل.. (٢١) ويقول الدكتور عبد المنعم الماجد:.. ويرجع الفضل إلى الفاطميين في خلق
أهمية مركز مصر الدولي للتجارة. إذ أنهم عرفوا مزايا الموقع الجغرافي لمصر في مفترق القارات لتربط بين عالمين ولكي يسهل الفاطميون نقل التجارة بين الشرق والغرب فتحوا القنال بين النيل والبحر الأحمر وهو ما عرف في عهد المستنصر بالخليج الحاكمي نسبة إلى الحاكم بأمر الله.. (٢٢)
وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو عندما مر بمصر في تلك الفترة: أن المصريين كانوا في حالة حسنة جدا. وأنه رأى أموالا يملكها بعض المصريين لو ذكرها أو وصفها لما صدقه أحد. فهي لا تقع تحت تحديد أو حصر. وهي للنصارى والمسلمين على السواء.. (٢٣)
وذكر أيضا: وقد رأيت الأمن والعدل فيما رأيت من بلاد العرب والعجم في أربعة مواضع: الأول بالدشت أيام نشكر خان. والثاني بالديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين. والرابع بطبس أيام الأمير أبي الحسن بن محمد. فلم أسمع على كثرة ما سافرت بهذه الجهات عن الأمن ولم أره.. (٢٤)
لقد أصحبت مصر لأول مرة في التاريخ مركز الحكم والتوجيه وتحولت القاهرة إلى عاصمة للعالم الإسلامي كما أصحبت منارة العلم وقبلة المتعلمين وذلك بفضل الفاطميين الشيعة. وكانت الدولة الفاطمية تمتد من أقصى المحيط الأطلسي إلى الفرات وبلغت دعوتها إلى أقصى انتشارها ووصل غناها إلى الذروة. وهكذا كان حال الدولة الفاطمية حين تسلمها المستنصر بالله الخليفة الثامن من خلفاء الفاطميين.. (٢٥)
وكانت الدولة الفاطمية في خلافة الظاهر والد المستنصر في غاية الاستقرار والرفاهية ولأجل ذلك مال الظاهر إلى الدعة والراحة ولما جاء المستنصر ركن إلى

هذا الحال.. (٢٦)
وقد ازدهرت الحركة العمرانية في عهد الفاطميين كما ازدهرت صناعة النسيج واشتهرت مصر بصناعة أنواع خاصة من النسيج. وكانت الحكومة تقوم بكسوة موظفيها في الصيف والشتاء وكسوة العامة من الفقراء والمحتاجين.. (٢٧)
ولم تكن المواكب المترفة غاية الترف التي كانت تخرج في شوارع القاهرة في المناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى وبداية رمضان وكذلك في عيد ميلاد الخليفة – هذه المواكب تشير في دلالة واضحة إلى حالة الرخاء والسعة التي كانت تعيشها في تلك الفترة..
وجميع أفراد الشعب كانوا يتأنقون لهذه المواكب فيلبسون أغلى الملابس وأروعها والتي كانت تصنع في دور الطرز المصرية. وهي أماكن لصناعة الملابس أغلبها مذهبة. يشملها زي مصري عام ذو أكمام واسعة.. وقد بلغت الناس غاية التأنق في عهد الظاهر.. (٢٨)
وكان الخليفة العزيز يقول: أحب أن أرى النعم عند كل الناس ظاهرة. وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر. ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار. وأن يكون ذلك كله من عندي.. (٢٩)
ويروي المؤرخون الكثير عن عدل المستنصر ورحمته بالناس فقد كان يعطي الدواء لمن يطلبه المجان ويخالط الناس ويسمع شكواهم وقد أحبته الرعية حبا شديدا.. (٣٠)
كما يروى أن النفقة على قافلة الحج في عهد المستنصر بلغت مائتي ألف دينار ولم تبلغ هذه النفقة مثل ذلك في دولة من الدول حيث كانت تشمل ثمن الطيب والشمع والحماية والصدقة وأجرة الجمال ومعونة خدم القافلة ومن يسير معها من العسكر الذين بلغت نفقاتهم في عهد المستنصر ستين ألف دينار زيادة على مرتباتهم أو ألف دينار في اليوم.. (٣١)
وقد أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة أو دار العلم في عام ٣٩٥ ه وزودها

بالكتب من كل نوع في العلوم والآداب والعقائد وكان الطلاب يفدون إليها من شتى الأقطار. فكانت أشبه بجامعة تتكون من عدة كليات.. وكانت خزانة الكتب في زمن المستنصر لا نظير لها في جميع بلاد الإسلام وهي تتكون من أربعين خزانة فيها أكثر من مائتي ألف كتاب وعدد كبير من الكتاب والنساخ.. (٣٢)
وبلغ عدد المساجد في مصر آنذاك ستة وثلاثون ألف مسجد في جميع المدن والقرى ولكل مسجد يقع في حدود الدولة من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها الخليفة المستنصر من زيت وحصير وسجاجيد للصلاة ورواتب للقوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم.. (٣٣)
واعتاد خلفاء الفاطميين أن يقيموا في قصورهم الولائم الفاخرة في الأعياد لعامة الناس حيث تقدم لهم الفطرة وهي حلوى من دقيق وفستق ولوز وبندق وتمر وزبيب وعسل وهي تنشر كالجبل الشاهق على مائدة طويلة بالإيوان الكبير.. (٣٤)
وفي عيد الأضحى كان الخليفة ينحر بنفسه الأضاحي إيذانا منه ببدء النحر.
وكانت تنحر في فترة العيد ما يزيد على الألف رأس توزع لحومها على الموظفين وطلبة العلم والقائمين بشؤون الجوامع.. (٣٥)
إن الدولة الفاطمية التي استقرت بمصر فكانت أوفرها بين الدول بهاء وأبقاها أثرا وما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليانع يقوم منذ ألف عام أثرا خالدا ورمزا باهرا لهذا العصر الزاهر وهذه الدولة المستنيرة العادلة. وربما كان العصر الفاطمي بين عصور مصر الإسلامية الغابرة أجودها من هذه الناحية بالدرس والتمحيص وأحفلها بالمواقف الشائقة وأكثرها سحرا وفتنة وأبعثها إلى التأمل والعطف لأن الخلافة الفاطمية بالرغم مما كان يحيق بأصولها وأمامها من الريب فقد كانت بنظمها الطريفة ورسومها الفخمة وخلالها الباهرة تنثر من حولها فيض من العظمة والبهاء وتطبع العصر بطابع عميق من روحها الباذخ كما يحدثنا التاريخ.. (٣٦)
وفي أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض. وأخذ الفن المصري الإسلامي يتألق في جميع

نواحيه. وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال لأن خلفاءها تباروا في إنشاء وتأسيس المساجد الكبرى والحصون والقصور والمناظر والحدائق والبساتين. وفي هذا العصر الزاهي انتشر الزخرف في واجهات المساجد وانتعش التصوير ونبغ المصورون وترقت ودقت صناعة الجص والأخشاب.. وكانت أيامهم كلها أعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلالة الملك وطرب الشعب وبهجته.. (٣٧)

* مواسم الفاطميين:

اشتهر العصر الفاطمي بكثرة المواسم والاحتفالات والإنفاق ببذخ عليها. وقد تفاعل المصريون مع هذه الاحتفالات والمناسبات وأحبوها لما كانت تمثله بالنسبة لهم من أهمية معنوية وترفيهية بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية حيث كانت توزع فيها العطايا من أموال وكسوة وطعام..

وأهم هذه المناسبات التي كان يحتفل بها الفاطميون. مناسبة رأس السنة الهجرية ومناسبة عاشوراء. ومولد النبي (ص). وعيد الفطر. وعيد النحر (الأضحى). وليلة النصف من شعبان. ومولد الإمام علي. ومولد الحسن. ومولد الحسين. ومولد فاطمة. وأول رمضان. وعيد الغدير. وموسم فتح الخليج. وكسوة الشتاء. وكسوة الصيف. ويوم النيروز. وليلة أول رجب ونصفه. وذلك غير المناسبات الأخرى الخاصة بخلفاء الفاطميين.. (٣٨)

وقد توقفت معظم هذه الاحتفالات بعد سقوط الفاطميين ولم يبق إلا القليل منها مما تبنته الدول التي قامت بعدهم. وتبنته الطرق الصوفية. توقف الاحتفال بمولد أئمة آل البيت عدا مولد الحسين. كما توقف الاحتفال بعيد الغدير وكسوة الشتاء والصيف وعاشوراء وشهر رجب. وبقي الاحتفال بليلة النصف من شعبان ورمضان اختصت به الطرق الصوفية. أما الاحتفال برأس السنة الهجرية ومولد النبي وعيد الفطر والأضحى فقد تبنته الدول الأيوبية والمملوكية والعثمانية واستثمرته إعلاميا ودعائيا لصالحها غير أنها قامت بتغيير تواريخ الاحتفال بهذه

المناسبات والتي كانت من وضع الفاطميين.. (٣٩)
ولا تزال هذه النظم الفاطمية سائدة في مصر حتى اليوم بالنسبة للاحتفالات الخاصة بالمناسبات التي لا زالت باقية. مثل الموالد وليلة النصف من شعبان ورأس السنة الهجرية وعاشوراء التي غير جوهر الاحتفال بها من الحزن إلى الفرح نكاية بالفاطميين الشيعة الذين كانوا يتخذون من يوم عاشوراء يوم حزن بسبب المذبحة التي وقعت لأبناء الرسول بكربلاء في يوم العاشر من محرم..
وكان الاحتفال بعاشوراء زمن الفاطميين تتعطل فيه الأسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى بسماط الحزن. وكان يصل إلى الناس منه شئ كثير.. (٤٠)
يروي المسبحي: وفي يوم عاشوراء (بداية من عام ٣٩٦ ه) جرى الأمر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة (الأزهر) ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد.. (٤١)
وكان إذا جاء يوم العاشر من محرم يحتجب الخليفة عن الناس فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم. ثم صاروا إلى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر. فإذا جلسوا فيه ومن معهم من القراء والمتصدرين في الجوامع. جاء الوزير فجلس صدرا والقاضي والداعي من جانبيه. والقراء يقرأون نوبة نوبة. وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت (ع) فإن كان الوزير رافضيا - هكذا يقول المقريزي - تغالوا وإن كان سنيا اقتصدوا. ثم يستدعون بعد ذلك إلى القصر حيث يجلسون ويقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا. ويفرش سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان والأعسال والفطير والخبز المغير لونه - إلى السواد - بالقصد - أي عمدا - ويأكل الجميع من الناس على اختلاف طبقاتهم. فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركبانا بذلك الزي الذي ظهروا فيه. وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم. وأغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر. فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون.. (٤٢)
ولما زال حكم الفاطميين اتخذ ملوك بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون

فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن على الحسين.. (٤٣)

أما يوم الغدير فيوافق الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم وقف الرسول (ص) بغدير خم في حجة الوداع وخطب في الصحابة وأوصى بالإمامة لعلي.. (٤٤)

وفي هذه المناسبة كانت تزوج الأيامى وتوزع فيه الكسوة وتفرق الهبات. وفيه تنحر الماشية وتعتق الرقاب.. (٤٥)

وفي عيد الفطر يركب الخليفة لصلاة العيد وتفرق الكسوة ويعمل السماط وكذلك في عيد الأضحى الذي تفرق فيه الأضاحي بالإضافة إلى الكسوة والأموال على أرباب السيف والقلم.. (٤٦)

وكان الفاطميون بالإضافة إلى ذلك يحتفلون بعيد النيروز ويوزعون فيه أصناف الحلوى.. (٤٧)

وفي الاحتفال برأس السنة الهجرية كان الخلفاء يقيمون الولائم ويوزعون الحلوى ويحضر الاحتفال رجال الدولة وأصحاب الرتب وجميع أرباب السيوف والأقلام.. (٤٨)

وفي فصل الشتاء كانت توزع كسوة الشتاء. وفي فصل الصيف كانت توزع كسوة الصيف على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم.. (٤٩)

إن هذه الاحتفالات إنما كانت تعكس الحالة الاقتصادية السائدة في العصر الفاطمي. وهي حالة على ما يبدو من هذه الاحتفالات تدل على رغد العيش واتساع الأرزاق..

الفاطميون والصليبيون:

من بين المطاعن التي وجهت للفاطميين إقامة علاقة مع الصليبيين أعداء

المسلمين وقد استغل هذا المطعن في تشويه الفاطميين وإثارة الشبهات من حولهم. خاصة أن هذا المطعن قد استخدم كوسيلة لتأكيد عداء الفاطميين للمسلمين وميلهم للصليبيين على أساس عقيدتهم الباطنية المعادية للإسلام..

وبات هذا الأمر حقيقة مسلم بها عند الجميع بحيث غطى على كل مآثر الدولة الفاطمية وإنجازاتها..

من هنا استبيحت الدولة الفاطمية وحكامها من قبل المؤرخين الذين رصدوا تاريخها ووقائعها بمنظار الشك. وأعلنوا براءتهم منها وكفرهم بها. حتى إن بعض المؤرخين رفض التأريخ لدولتهم في كتاب له حوى تاريخ الخلفاء.. (٥٠)

والحق أن اتهام الفاطميين بالعمالة للصليبيين كاتهامهم بالزندقة والباطنية.

والتشكيك في انتسابهم لشجرة آل البيت واتهامهم بتزوير نسبهم هذا. كل هذه تهم ابتدعت لأغراض سياسية الهدف منها الحط من الفاطميين والقضاء على دعوتهم ونفوذهم بين المسلمين بسبب تبنيهم الخط الشيعي..

إن القضية في الحقيقة هي أكبر من مجرد الاتهام بالتعاون مع الصليبيين. إنها قضية الصراع بين السنة والشيعة..

السنة ممثلة في الدولة العباسية آنذاك..

والشيعة ممثلة في الدولة الفاطمية المواجهة لها..

ومحاولة حصر القضية في دائرة العمالة للصليبيين يعد سطحيا لحركة التاريخ وتعتيما على أحداثه..

لقد قاد العباسيون حملة التشويه والطعن في الفاطميين الذين سلبوهم مركز الريادة والقيادة في العالم الإسلامي بل وكادوا أن يسقطوا دولتهم ويوحدوا المسلمين تحت روايتهم لولا ظهور القرامطة والسلاجقة.. (٥١)

إن العباسيين هم الذين شهروا سلاح السنة في مواجهة الفاطميين وزجوا بالفقهاء في المواجهة حتى يضفوا طابع الشرعية على حربهم السياسية ضد

الفاطميين. ويبدو هذا بوضوح من خلال المنشور الذي أصدره العباسيون ينفون فيه نسب الفاطميين ووقع عليه كثير من الفقهاء والرموز الإسلامية السنية البارزة آنذاك.. (٥٢)

ومسألة التعاون مع الصليبيين أو الإفرنج حين ظهروا في بلاد المسلمين لا تقتصر على الفاطميين إن صح نسبتها لهم. وإنما هناك صور كثيرة لهذا التعامل برزت في بلاد الشام في وجود الفاطميين وفي عهد الأيوبيين.

فلما ذا أثيرت هذه التهمة حول الفاطميين وحدهم وأغفل الباقون..؟

والجواب واضح.

لقد جعلت حالة العداء الكامنة في نفوس المؤرخين السنة تجاه الشيعة جعلتهم يتصيدون الأخطاء وينسبون المواقف ويثيرون الشبهات حول الفاطميين. وقد أعماهم الحقد على الشيعة عن معرفة الحقيقة ووضع الأمور في نصابها والفحص والتحقق في الروايات التي تنسب للفاطميين ما لا يعقل وما يخرج عن حدود الخلق العلمي.. (٥٣)

ولا يزال البعض إلى اليوم يتناقل الفرية التاريخية التي تقول إن الشيعة يقدمون عليا على محمد. ويقولون إن جبريل أخطأ في الرسالة وبدلا من أن يهبط على علي هبط على محمد.. (٥٤)

إن التاريخ يقص علينا مواقف خالدة ومشرفة للفاطميين في مواجهة الصليبيين من قبل ظهور آل زنكي وصلاح الدين..

يروي ابن الأثير عن أحداث عام ٣٨٧ ه. أنه قد وقعت فيها معركة كبيرة بين جيش برجوان الفاطمي قائد جيوش الحاكم بأمر الله وجيش الدوقس الرومي وانهزم فيها الدوقس ودخل جيش الفاطميين أنطاكية.. (٥٥)

وفي هذا العام يروي ابن الأثير أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله برز لغزو الروم إلا أنه توفي في الطريق بمدينة بلبيس.. (٥٦)

وفي عام ٤٩١ ه استولى الفرنج على بيت المقدس في عهد الخليفة المستعلي بالله وسير الأفضل بن بدر الجمالي وزير الآمر بأحكام الله ابن المستعلي الجيوش إلى الفرنج عام ٤٩٨ ه فقهرهم وأخذ الرملة ودارت بينهم معارك طاحنة لكنه لم ينجح في إخراجهم من القدس وعكا ويافا وعاد إلى عسقلان. وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش.. (٥٧)

وفي عام ٥٠٣ ه ملك الفرنجة طرابلس وانطلق الأسطول المصري محملا بالرجال والغلال والمال وغيره ما يكفي لسنة وفرقت المؤن هذه والذخائر في الجهات المنفذة إليها صور وصيدا وبيروت.. (٥٨)

وفي عام ٥٠٤ ه قام والي عسقلان من قبل الفاطميين بمراسلة الفرنج وهادنهم وتحصن بهم في مواجهة دولته. وجهز الأفضل جيشا وسيره نحو عسقلان. ووثب أهل عسقلان على الوالي وقتلوه وبذلك انتهت الفتنة وأنقذت عسقلان.. (٥٩)

وفي عام ٥٠٨ ه حاصر الفرنج صور فجهز الأفضل أسطولا وسيره إلى صور فاستقام أحوال أهلها وصمدوا في مواجهة الفرنجة.. (٦٠)

هذا هو حال الفاطميين مع الصليبيين حتى ظهر آل زنكي وتصدوا لهم وملكوا الشام وبدأت الدولة الفاطمية تضعف في مصر حتى سقطت في قبضة الأيوبيين عام ٥٦٨ ه..

وسوف نعرض هنا لقصة التعاون المزعوم بين الفاطميين والصليبيين كما وردت في كتب التاريخ المعتمدة..

في عام ٥٥٨ ه وبعد مصرع الصالح طلائع الرجل القوي في جهاز الحكم الفاطمي في عهد الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين. تولى الوزارة من بعده ولده زريك الذي لقب بالعادل وسار على نفس سيرة والده الحازمة في مواجهة الانحرافات والفساد داخل جهاز الدولة. وكان أن تصدى العادل لنفوذ شاور الذي كان واليا على الصعيد وأراد عزله فسار شاور بجيشه نحو القاهرة وفر العادل من

أمامه وظفر به شاور وقتله وأصبح مكانه في الوزارة ولقب نفسه بأمير الجيوش وكان سافكا للدماء مكروها. إلا أن الجو لم يصفو لشاور فقد ظهر في مواجهته رجل قوي وهو الأمير ضرغام من أتباع زريك ونازع شاور ودارت بينهما معارك انهزم فيها شاور وفر إلى الشام. وهناك أطمع نور الدين محمود في غزو مصر فجهز معه شيركوه وصلاح الدين والعساكر عام ٥٥٨ ه. ودارت معارك بينهم وبين ضرغام انتهت بهزيمته ومقتله. ودخل شاور القاهرة ثانية تحت راية الأيوبيين آل زنكي. ثم حدث خلاف وصدام بين شاور وشيركوه قام شاور على أثره بالاتصال بالإفرنج التي قدمت وحاصرت القاهرة وفر منها أسد الدين شيركوه وصلاح الدين وعاد شاور إلى القاهرة للمرة الثالثة تحت راية الصليبيين. وأقام بها على عادته بظلم الناس وقتلهم ومصادرة أموالهم ولم يبق للعاضد معه أمر ولا نهي.

وهنا لجأ العاضد إلى نور الدين محمود وأرسل إليه يستنجده فعاد شيركوه إلى مصر وانهزم الفرنج وقتل شاور بعد أن أحرق الفسطاط ونقض العهد مع شيركوه.. (٦١)

هذه هي قصة تعاون الفاطميين مع الصليبيين التي ضخمها المؤرخون واعتمدوا عليها في تشويه الفاطميين. وهي على ما تبدو مسألة صراع سياسي لا صلة له بالعقيدة تزعمها مارق لا دين له هو شاور الذي كان يتحرك من خلال مصلحته الخاصة وليس من خلال الشيعة أو الدولة الفاطمية..

وها هو الخليفة العاضد ممثل الدولة يستنجد بنور الدين السني لينقذ بلاده من شاور والإفرنج الصليبيين. ثم إنه بعد أن تم له التخلص من خطر الإفرنج وشاور خلع على شيركوه الوزارة مع أنه سني وتوفي شيركوه بعد فترة قصيرة فنصب الخليفة من بعده صلاح الدين وزيرا. إلا أن صلاح الدين تآمر على العاضد حتى قضى عليه وعلى عائلته وبذلك انتهى حكم الفاطميين في مصر. مما دفع ببقايا الفاطميين إلى التآمر عليه ومحاولة الاتصال بالإفرنج لدفعه إلى الخروج من القاهرة بجنده والاستيلاء على المدينة إلا أن هذه المؤامرة تم كشفها.. (٦٢)

وهذه الحادثة الثانية ليست إلا رد فعل لمؤامرة صلاح الدين على الفاطميين وبطشه بالشيعة في مصر على ما سوف نبين..
ومثل هذه المواقف وغيرها مما ينسب للفاطميين إنما هي مواقف سياسية بحتة لا صلة لها بالمذهب الشيعي ولا يجوز تحميلها على أساس عقائدي. فإن السياسة كثيرا ما تتمرد على الدين وإذا ما حاولنا ضبط مواقف الخلفاء – سنة وشيعة – بضوابط الإسلام فسوف نجد تناقضا كبيرا. خاصة خلفاء بني أمية وبني العباس.. (٦٣)
والفاطميين على الرغم من نجاحهم في تحويل المصريين من السنة إلى الشيعة ليتحول الشيعة إلى أغلبية في مصر. رغم ذلك لم يضطهدوا المذهب السني. بل كان له وجوده ونشاطه. حتى إن بعض فقهاء المالكية والشافعية تولوا مناصب في الدولة مثل القاضي أبي عبد الله القضاعي الشافعي.. (٦٤)
ولعل هذا ما دفع بالقلقشندي أن يقول: إن مذهبي مالك والشافعي ظاهري الشعار في زمن الفاطميين.. (٦٥)
ولو كان الفاطميون باطنية وزنادقة ويضمرون العداء للإسلام والمسلمين كما يدعون فلما ذا تسامحوا مع المذاهب الأخرى وهي واقعة في دائرة نفوذهم..؟
يقول الدكتور عبد المنعم الماجد: لا بد لنا أن نقر أن الدعوة – الشيعية – أيام المستنصر نجحت إلى حد لم يسبق لها. وأن المسلمين من غير الشيعة والقبط. كانوا يتمتعون بحريتهم المذهبية والعقيدية إلى حد كبير.. (٦٦)
* شهادة المؤرخين للفاطميين:
إن القارئ المتتبع لتاريخ الفاطميين يظهر له التناقض الواضح في مواقف المؤرخين من خلفائهم.. ففي الوقت الذي يتهمهم فيه المؤرخون بالزيغ والضلال وفساد العقيدة وينفون نسبهم لآل البيت وينعتونهم بالعبيديين نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة في بلاد المغرب.

هذا الموقف العدائي نجد أمامه موقف آخر يحمل المدح والثناء على لسان نفس المؤرخين لخلفاء الفاطميين..
يقول ابن الأثير: وكان المعز عالما فاضلا جوادا شجاعا جاريا على منهاج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية. وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة. ثم أظهره وأمر الدعاة بإظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به.. (٦٧)
ويقول ابن إياس: وكان المعز رجلا عادلا عاقلا حازما لبيبا فصيحا شاعرا وله شعر جيد. فمن ذلك قوله:
* ما با من عذري فيك حتى عذرا *
* وبدا البنفسج فوق ورد أحمرا *
* همت بقبلته عقارب صدغه *
* فاستل ناظره عليها خنجرا *
ويقول ابن الأثير عن العزيز بالله: كان يحب العفو ويستعمله. وكان حليما كريما شجاعا وفيه رفق بالرعية.. (٦٨)
ويقول ابن إياس: وكان العزيز يحب العدل في الرعية. وينصف المظلوم من الظالم. وكان كريما جوادا ممدوحا. فأحبته الرعية وصفا له الوقت بالديار المصرية. وكان خيار بني عبيد قاطبة.. (٦٩)
أما الحاكم بأمر الله الخليفة الثالث فقد قال عنه ابن إياس: فلما تولى الخلافة أظهر العدل بين الرعية وسار في الناس سيرة حسنة.. (٧٠)
ويقول ابن الأثير عن الخليفة الظاهر لدين الله: وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية.. (٧١)
وتولى من بعد الظاهر المستنصر بالله وكان الحاكم في دولته بدر بن عبد الله الجمالي الملقب بالأفضل أمير الجيوش وكان عادلا حسن السيرة.. (٧٢)
ويقول ابن إياس عن الخليفة الثامن الحافظ لدين الله: وكان الحافظ لدين الله رجلا حليما لين الجانب. قليل الأذى.. (٧٣)

ويقول ابن كثير عن آخر الخلفاء الفاطميين العاضد: وكان العاضد كريما جوادا سامحه الله.. (٧٤)
ويقول ابن إياس عنه: وبه انقرضت دولتهم. ولم يكن لها من المساوئ سوى أنهم كانوا رافضة يسبون الصحابة كل يوم جمعة على المنابر.. (٧٥)
وكان لموت العاضد بمصر يوم عظيم إلى الغاية وعظم مصابه على المصريين إلى الغاية ووجدوا عليها وجدانا عظيما لا سيما الرافضة فإن نفوسهم كادت تزهق حزنا لانقضاء دولتهم من ديار مصر وأعمالها.. (٧٦)
وكما أن المؤرخين أثنوا على الخلفاء الفاطميين. أثنوا أيضا على وزرائهم وقادة جيوشهم.
يقول ابن الأثير عن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني القاهرة وكان يظهر الإحسان إلى الناس ويجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء. ولم يبق بمصر شاعر إلا رثاه وذكر مآثره حين موته.. (٧٧)
ويقول أيضا عن الأفضل بن أمير الجيوش كان حسن السيرة عادلا. وقد قتل في عام ٥١٥ ه من قبل الإسماعيلية لتبنيه المذهب الشيعي الإمامي وتضييقه على الخليفة الآمر بأحكام الله وتوسعته على أهل السنة والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها.. (٧٨)
ويقول ابن تغري بردي عن طلائع بن زريك وزير الفائز: وساس الأمور وتلقب بالملك الصالح وسار في الناس أحسن سيرة وفخم أمره وكان أديبا مائلا للإمامية.. (٧٩)
ويقول المقريزي عنه: كان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لأهل الأدب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعلما وسياسة وعقلا وتدبيرا. كان مهابا في شكله عظيما في سطوته وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع.. (٨٠)

ويقول ابن إياس عنه أيضا: وكانت له حرمة وافرة في القاهرة وهو الذي بنى الجامع المنسوب إليه المشهور بجامع الصالح الذي هو خارج باب زويلة.. (٨١)
ويبدو لنا من خلال تتبع مواقف المؤرخين تجاه الفاطميين أنها مواقف تشوبها الحيرة بسبب موقفهم المعادي للشيعة عقيدة الفاطميين. وتيقنهم من عده فساد الأحوال في زمانهم. فهم لا يريدون إخفاء عدائهم للشيعة ولا يسطيعون إخفاء منجزات الفاطميين.

هوامش:
(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ج ٢
(٢) المرجع السابق ج ١ وانظر أيضا النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة..
(٣) المرجع السابق ج ١ انظر النجوم الزاهرة..
(٤) أنظر تفاصيل هذا الاتفاق في الخطط. ج ٣ ص ٢٦٥..
(٥) المرجع السابق والنجوم الزاهرة. يروي ابن تغري: وأقامت شيعة عثمان بخربتا إلى أن جاء معاوية من الشام إلى مصر فخرج إليه ابن أبي حذيفة بأصحابه فمنعوه من الدخول إلى الفسطاط ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب. فاستخلف محمد بن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن وعدة من قتلة عثمان فلما وصلوا إلى معاوية قبض عليهم وحبسهم وسار إلى دمشق. فهربوا من السجن فتتبعهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم وقتلهم في ذي الحجة عام ٣٦ ه..
(٦) أنظر الخطط والنجوم.. يروي ابن تغري: لما اختل أمر مصر على محمد ابن أبي بكر وبلغ علي قال: ما لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه قيس بن سعد – ومالك بن الحارث الأشتر. وكتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشق عليه وعظم ذلك لديه. فكان أن دبر قتله بالسم ومات بالقرب من عين شمس..
(٧) أنظر الخطط ج ٣ ص ٢٧٠ / ٢٧١..
(٨) المرجع السابق..
(٩) المرجع السابق..
(١٠) المرجع السابق..
(١١) المرجع السابق..

(١٢) المرجع السابق..
(١٣) المرجع السابق..
(١٤) المرجع السابق..
(١٥) المرجع السابق..
(١٦) المرجع السابق..
(١٧) المرجع السابق..
(١٨) أنظر نص الوثيقة في ملاحق الكتاب..
(١٩) أنظر المراجع التاريخية المعتمدة. وقد اتفق جميع المؤرخين على تشويه الفاطميين لكونهم شيعة. ويبدو ذلك بوضوح عند مؤرخي فترة ما قبل سقوط الدولة الفاطمية الذين كانت تحرضهم بغداد. كما يبدو عند مؤرخي فترة الأيوبيين وما بعدهم. انظر تأريخ الخلفاء للسيوطي والذي أرخ فيه لجميع الخلفاء المسلمين عدا الفاطميين الذين استثناهم عن عمد في كتابه. وانظر النجوم الزاهرة. والكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وبدائع الزهور في وقائع الدهور. والروضتين في أخبار الدولتين..
(٢٠) الخطط ج ٢ ص ٢١ وما بعدها.. فصل ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة..
(٢١) الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية. ط القاهرة..
(٢٢) الإمام المستنصر بالله الفاطمي. ط القاهرة عام ٦١
(٢٣) سفر نامه. نقلا عن المرجع السابق..
(٢٤) المرجع السابق..
(٢٥) المرجع السابق..

(٢٦) المرجع السابق..
(٢٧) المرجع السابق..
(٢٨) المرجع السابق وانظر خطط المقريزي.. ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن: يعتبر عهد العزيز بالله الفاطمي عهد يسر ورخاء وتسامح ديني وثقافة لا غرو.. وقد أنشئ في عهد الحاكم دار الحكمة التي كان يشتغل بها كثير من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين وألحق بها مكتبة أطلق عليها دار العلم حوت كثيرا من أمهات الكتب مما ألف في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية / تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي.
(٢٩) المرجع السابق..
(٣٠) المرجع السابق وانظر خطط المقريزي وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة..
(٣١) الإمام المستنصر بالله الفاطمي..
(٣٢) المرجع السابق..
(٣٣) المرجع السابق..
(٣٤) أنظر خطط المقريزي. وأنشأت دار الفطرة في عهد العزيز بالله وقرر فيها ما يعمل مما يحمل إلى الناس في العيد. وكانت قريبة من المشهد الحسيني..
(٣٥) أنظر الخطط..
(٣٦) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية..
(٣٧) عيد الغدير في عهد الفاطميين. الأستاذ محمد هادي الأميني. ط النجف عام ٦٢..
(٣٨) أنظر خطط المقريزي والنجوم الزاهرة..
(٣٩) تواريخ الاحتفال بمولد الحسين والسيدة زينب ومولد الرسول (ص) المعروفة

في مصر اليوم. غير التواريخ المعترف بها عند الشيعة المعمول بها لديهم..
(٤٠) أنظر الخطط..
(٤١) نقلا عن الخطط. والمسبحي من أعيان الشيعة في مصر وله والكثير من المصنفات في مختلف العلوم. انظر فصل أعيان الشيعة..
(٤٢) أنظر الخطط..
(٤٣) المرجع السابق..
(٤٤) حديث الغدير من الأحاديث المستفيضة. وهو من بين الأسانيد التي يعتمد عليها الشيعة في إثبات وصية الرسول للإمام علي. ونص الحديث كما رواه أحمد بإسناد صحيح: عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثبع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم. إلا قام. قال: فقام من قبل سعيد ستة. ومن قبل زيد ستة. فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله (ص) يقول لعلي يوم غدير خم: " أليس الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: " اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.. وقال فيه الرسول (ص) أيضا: أذكركم الله في أهل بيتي..
(٤٥) الخطط
(٤٦) المرجع السابق..
(٤٧) المرجع السابق. وعيد النيروز
(٤٨) المرجع السابق..
(٤٩) المرجع السابق..
(٥٠) أنظر فصل صلاح الدين والشيعة. والمؤرخ هو جلال الدين السيوطي..
(٥١) أنظر الصراع بين الفاطميين والقرامطة والسلجوقيين في كتب التاريخ.

(٥٢) وقع على هذا المنشور عدد من فقهاء السنة البارزين آنذاك. انظر الملاحق..
(٥٣) أنظر ما ينسب للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي الثالث من حكايات جنونية. ومحاولة الطعن في نسبهم للرسول (ص) ونسبتهم لليهود. ومحاولة ربطهم بالصليبيين وإشاعة حكايات حول خلفائهم تفيد ادعائهم الألوهية وانظر الحاكم بأمر الله. الخليفة المفترى عليه للدكتور عبد المنعم الماجد..
(٥٤) كان عليا حين بعث الرسول عمره لا يتجاوز ثمانية سنوات. فهل يعقل أن جبريل يهبط على طفل..؟ ثم إن الحكم بخطأ جبريل يعني أن مرسله أخطأ أيضا. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا. وهذا كفر صريح. فكيف تقوم دعوة على أساس فكرة واهية كهذه تخطئ الله بطريق غير مباشر. هل من الممكن أن يقبلها أحد من المسلمين..؟ ثم إن الشيعة يعتقدون في قدسية آل البيت وعلى رأسهم الإمام علي. وهذه القدسية إنما هي مستمدة من الرسول الذي ينسب إليه هذا البيت. فكيف يمكن أن يقدم علي على الرسول وهو يستمد قدسيته منه..؟
(٥٥) الكامل في التاريخ ج ٧
(٥٦) المرجع السابق ج ٧ ص ١٧٦.
(٥٧) المرجع السابق. ج ٨. لما ذا سكت المؤرخون عن بكتاش وغيره ممن تعاونوا مع الصليبيين. ربما لأنهم من السنة..؟ ولما ذا سكتوا عن السلطان الأيوبي الملك الكامل الذي سلم القدس إلى الصليبيين عام ٦٢٦ ه..
(٥٨) المرجع السابق ج ٨ ص ٢٥٩..
(٥٩) المرجع السابق ج ٨ ص ٢٦٠..
(٦٠) المرجع السابق ج ٨ ص ٣١٥..

(٦١) المرجع السابق ج ٩ ص ٩١ وما بعدها. وراجع أحداث عام ٥٦٢ ه في خطط المقريزي وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة لتعرف تفاصيل قصة شاور مع صلاح الدين.
(٦٢) المرجع السابق ج ٩ أحداث عام ٥٦٤ ه. انظر الخطط والنجوم وبدائع الزهور.
(٦٣) إذا صح هذا القياس فيجب محاسبة خلفاء بني أمية وبني العباس وغيرهم على كثير من المواقف والانحرافات الخطيرة على المستوى السياسي والاقتصادي والعقائدي مما تذخر به كتب التاريخ. وهو ليس موضوعنا هنا.
(٦٤) أنظر المستنصر بالله الفاطمي. وخطط المقريزي.
(٦٥) أنظر صبح الأعشى. ج ٣ ص ٥٢٤.
(٦٦) المستنصر بالله الفاطمي..
(٦٧) الكامل ج ٨ ص ٧٤. وبدائع الزهور..
(٦٨) الكامل ج ٨ ص ١٧٦ / ١٧٧.
(٦٩) بدائع الزهور ج ١. ق ١. ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: وكان كريما محبا للعفو واشتهر بالتسامح الديني وكان يعطف على اليهود والنصارى.
(٧٠) بدائع الزهور. غير أنه هاجم الحاكم بعد ذلك وقال فيه ما قاله أقرانه من المؤرخين.
(٧١) الكامل ج ٨ ص ١٠ / ١١.
(٧٢) المرجع السابق..
(٧٣) بدائع الزهور ج ١ ق ١

(٧٤) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٥.
(٧٥) بدائع الزهور ج ١ ق ١
(٧٦) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥٧.
(٧٧) الكامل ج ٧ ص ١٥٥.
(٧٨) المرجع السابق ج ٨ ص ٣٠٣.
(٧٩) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١١.
(٨٠) الخطط
(٨١) بدائع الزهور ج ١ ق ١. وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان وهو يترجم للأئمة الفاطميين. ويقول عن الظاهر. وتوفي آخر ليلة الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة. رحمه الله. ج ٣ / ٨٥: ٨٦ رقم الترجمة ٤٥٥. كما يترجم على المستنصر أيضا. انظر ج ٤ / ٣١٨ رقم الترجمة ٦٩٩.. كذلك أثنى على الصالح طلائع. انظر ج ٢ ص ٢٠٨ رقم الترجمة ٢٨٨..

صلاح الدين
تسامح مع الصليبيين وبطش بالمسلمين..

إن التاريخ بحاجة إلى كتابة جديدة. وأحداثه في حاجة إلى أن يتم تجريدها من السياسة التي علقت بها.. وفي حاجة إلى أن يتم تجريدها من أهواء المؤرخين ونزعاتهم.
وشخصية صلاح الدين في حاجة إلى قراءة جديدة. كما أن هناك شخصيات تاريخية كثيرة في حاجة إلى إعادة قراءة..
شخصيات غطت السياسة على مساوئها.
وشخصيات غطى التعصب على منجزاتها..
وشخصيات غطت السيوف على انحرافاتها..
وصلاح الدين هو واحد من أولئك الذين غطت السيوف على انحرافاتهم وحجبت عن أعيننا مساوئهم وغمرت بالدماء التي أسالتها جسد الحقيقة..
إن السيوف لم تشهر في كل حين ابتغاء مرضاة الله.. وإن أكثر السيوف التي شهرت في الإسلام كانت في سبيل السياسة. والقليل منها شهر في سبيل الله..
والتاريخ يحدثنا عن قادة كبار بل وصحابة شهروا سيوفهم وأبلوا بلاء حسنا من أجل الحصول على مغنم أو حكم ولاية كثيرة الخراج..
إننا في حاجة ماسة إلى التحرر من أوهام كثيرة حولها التاريخ إلى حقائق. في

حاجة إلى الوعي بأحداث عومتها السياسة وظللتها السيوف..
لقد قامت دول بالحق على حساب دول قامت بالباطل. وقامت دول بالباطل على حساب دول قامت بالحق..
وبين قيام الدول وسقوطها تضيع حقائق وتبرز أباطيل وتموت عقائد وتحيا مذاهب ويذهب فقهاء ويأتي أدعياء..
ومع سقوط الفاطميين وقيام الأيوبيين غابت حقائق وضاعت عقائد وارتفعت رايات وطويت رايات..
مع قيام الأيوبيين دخلت مصر مرحلة جديدة في ظل عقيدة جديدة ونظام حكم جديد فرض عليها فرضا..
ومنذ ذلك الحين استبدلت عقيدة الشيعة بعقيدة السنة..
واستبدلت الأسرة الفاطمية بالأسرة الأيوبية..
واستبدل الجامع الأزهر بالمدارس الشافعية والمالكية والأشعرية..
* انقلاب صلاح الدين في مصر:
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل تم ذلك في هدوء دون أي صعوبات..؟
لقد دخل صلاح الدين مصر في عام ٥٦٤ ه واستولى على الحكم فيها بعد وفاة العاضد عام ٥٦٧ ه وبين هاتين الفترتين كانت هناك مآس ودماء..
يروي المقريزي: أرسل العاضد يستصرخ نور الدين محمود زنكي ويطالبه إنقاذ المسلمين من الفرنجة – بعد أن تحالف معهم شاور – فجهز أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين عسكرا كثيرا وسيرهم إلى مصر. ونزل شيركوه القاهرة – بعد قتل شاور – فخلع عليه العاضد وأكرمه وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام ومات..
وفوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب فساس الأمور ودبر

لنفسه فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال. فلم يزل أمره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان.
وأقطع أصحابه البلاد. وأبعد أهل مصر وأضعفهم. واستبد بالأمور ومنع العاضد من التصرف. حتى تبين للناس ما يريده من إزالة الدولة. وتتبع جند العاضد وأخذ دور الأمراء وإقصاعاتهم فوهبها لأصحابه. وبعث إلى أبيه وإخوته. وأهله فقدموا من الشام عليه..
فلما كان في سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر. وهدم دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية. وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية. وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي. وجعل إليه الحكم في إقليم مصر كله. وعزل سائر القضاة – في الأقاليم – واستناب قضاة شافعية. فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي. واختفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر. ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة. فأصبح البلد من العويل والبكاء ما يذهل..
وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم وأخرج أقطاعات سائر المصريين لأصحابه.
وقبض على القصور وسلمها إلى الطواش بهاء الدين قراقوش الأسدي وجعله زمامها. وصار العاضد معتقلا تحت يده. وأبطل من الآذان حي على خير العمل.
وأزال شعار الدولة وخطب لخليفة بغداد.. (١)
هذه هي ملامح الانقلاب الأيوبي في مصر. ذلك الانقلاب الذي باركه الفقهاء والمؤرخون. لكونه أرحامهم من خصومهم الشيعة. وإن كان لم يحقق شيئا للإسلام وإنما حقق النفوذ والتمكن لآل أيوب..
وهو من وجهة نظر هؤلاء الفقهاء والمؤرخون يعتبر هذا الانقلاب نصرا للإسلام باعتبار أن مذهب أهل السنة الذي يمثله صلاح الدين هو الإسلام الحق.
أما مذهب الشيعة فهو مذهب الزنادقة الباطنية..
وقد عبر كثير من الفقهاء المؤرخين عن فرحتهم بسقوط دولة الفاطميين

وشاركوا العباسيين هذه الفرحة التاريخية بانهيار صرح الشيعة الذي أسهموا جميعا في هدمه..

يروي ابن الأثير: كتب نور الدين إلى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة للعاضد وإقامة الخطبة للمستضئ العباسي. فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام الديار المصرية عليهم لميلهم إلى العلويين. وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة ويريد بقاءهم (بني فاطمة) خوفا من نور الدين فإنه كان يخاف أن يدخل إلى الديار المصرية يأخذها منه فكان يريد أن يكون العاضد معه. حتى إن قصده نور الدين امتنع به وبأهل مصر عليه. فلما اعتذر لنور الدين بذلك لم يقبل عذره وألح عليه بقطع خطبته وألزمه إلزاما لا فسحة له في مخالفته. واتفق أن مرض العاضد مرضا شديدا واستشار صلاح الدين أمراءه فاختلفوا وكان أن قام أحد الفقهاء ويلقب بالأمير العالم وصعد المنبر في يوم الجمعة الأولى من محرم قبل الخطيب ودعا للمستضئ. فلم ينتطح فيه عنزان وكتب بذلك إلى سائر بلاد مصر ففعلوا.

ولما مات العاضد جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على القصر وما فيه.

ووصلت البشارة إلى بغداد بذلك فضربت البشائر بها عدة أيام وزينت بغداد وظهر من الفرح والجذل ما لا حد له.

وسيرت الخلع من بغداد إلى نور الدين وصلاح الدين وللخطباء بالديار المصرية وأرسلت معها الرايات السود رايات العباسيين.. (٢)

ويروي ابن إياس عن أسباب موت العاضد قوله: فلما قطع الخطبة عن اسمه حصل له قهر عظيم وصار مع صلاح الدين كالمحجور عليه. ولا يتصرف في الأمور إلا بعد مشورة صلاح الدين. فما أطاق العاضد ذلك. فقيل إنه ابتلع فص ألماس فمات من يومه.. (٣)

والعجيب أن صلاح الدين وهو المتسبب الأول في موت العاضد - جلس للعزاء فيه ومشى في جنازته.. (٤)

* استئصال الشيعة:
بعد أن أسقط صلاح الدين حكم الفاطميين وأمسك بزمام الأمور في مصر استدار نحو جماهير الشيعة والمجتمع المصري ليمحو الشيعة من ساحته..
لقد كان من الممكن لصلاح الدين أن يترك الجماهير على عقيدتها ما دام قد سيطر على البلاد واعتقل العائلة الفاطمية. إلا أنه أبي وأصر على أن يستأصل الشيعة والتشيع من مصر.. فهل كان موقفه المتشدد هذا تجاه الشيعة نابعا من عقيدته السنية. أم كانت له دوافعه السياسية..؟
يحدثنا التاريخ أن صلاح الدين كان شافعيا. وهنا تبرز صفته المذهبية بصورة تدعونا إلى تفسير موقفه تجاه الشيعة. على أساس أنه حماية للعقيدة كما يحلو للبعض من المؤرخين والفقهاء أن يصور الأمر على أنه صراع بين الحق والباطل..
الحق الذي مثله صلاح الدين وأقامه..
والباطل الذي مثله الفاطميين وسقطوا..
والحق أن القضية كما هي واضحة من رواية ابن الأثير السابقة لا صلة لها بالدين وإنما هي قضية سياسية في المقام الأول الهدف منها تثبيت حكم صلاح الدين.. في مواجهة خطر داهم يتهدده وهو خطر الجماهير الشيعية المتربصة به.
من هنا أخذ صلاح الدين الشيعة بجريرة الفاطميين ولو كان منصفا لاكتفى بتصفية الفاطميين كحكم وسلطة. لكنه تجاوز هذا الحد إلى مطاردة المذهب ذاته وتصفية أتباعه والبطش بهم بكل الوسائل والسبل مما دفع بالشيعة الذين استفزتهم هذه الممارسات العدوانية إلى الثورة في وجهه والتربص به لقتله..
ولو كان الشيعة وقتئذ أقلية لما تطلب الأمر من صلاح الدين أن يتطرف في مواجهتهم إلى هذا الحد..
ولو كان الشيعة لا وزن لهم ولا فاعلية لما كان هناك مبرر لاستئصالهم..

ولو كان الوجود الإعلامي للشيعة ضعيفا لما تطلب الأمر منه أن يقوم بدعم المدارس الشافعية والمالكية ويغدق عليها العطاء ويفرضها فرضا على المصريين.. (٥)

ومما يثير التساؤل والتعجب أن هذا البطش وهذه القسوة التي واجه بها صلاح الدين شعب مصر – ولا أقول شيعة مصر – وقد ترك عليها تابعة قراقوش الذي يضرب به المثل إلى اليوم في مصر – هذا البطش وهذه القسوة يقابلها تسامح وتساهل مع أعداء الإسلام والمسلمين من الصليبيين يكاد يخرج عن حدود الإسلام..

وسبحان الله رغم ما فعل صلاح الدين في مصر لا تجد له ذكر فيها بينما الفاطميون الذين قضى عليهم لا زال ذكرهم على الألسن إلى اليوم. لا زال الناس يذكرون المعز لدين الله الفاطمي وجوهر الصقلي والحاكم بأمر الله وهناك شارع باسم المعز في قلب القاهرة القديمة وكذلك هناك شارع باسم جوهر الصقلي. ولا زال جامع الأنور على باب الفتوح الذي بناه الحاكم قائما. ولا زال مسجد الصالح طلائع خارج باب زويلة موجودا ويطلق عليه العامة مسجد طلائع. كذلك مسجد الأقمر الذي بناه الوزير أبو عبد الله الأقمر وزير الآمر بأحكام الله..

حتى القلعة التي بناها وأكملها أولاده استولى عليها محمد علي وبنى عليها مسجده الضخم الذي غطى عليها وسميت القلعة باسمه. وأصبح العامة يطلقون عليها قلعة محمد علي.

وتروي لنا كتب التاريخ أن الصليبيين كانوا يخرجون من بيت المقدس بعربات محملة بالنفائس والجواهر والذهب ومعهم أطفالهم ونسائهم ومتعلقاتهم وكذلك اليهود. وهم حين دخلوا بيت المقدس جعلوا الدماء تجري فيها كالأنهار ولم يرحموا طفلا ولا شيخا ولا امرأة. فعل هذا صلاح الدين مع الصليبيين واليهود لكنه لم يفعله مع المسلمين من الشيعة. فقد بطش بهم البطشة الكبرى وفعل بهم ما تقشعر له الأبدان.. (٦)

كيف يبرر مثل هذا السلوك..؟

إنه ليس هناك من تبرير لهذا السلوك سوى أن الشيعة هؤلاء كفار زنادقة إبادتهم قربى إلى الله. لكن الصليبيين واليهود كفار وزنادقة أيضا. فلما ذا التسامح هنا والبطش هناك..؟

لقد كانت لصلاح الدين بطانة حاقدة من الفقهاء والمنافقين الذين كانوا يزينون له مثل هذا السلوك العدواني ويبررونه بدافع حماية عقيدة المسلمين والحفاظ عليها.. ومع ذلك يذكر القاضي بن شداد في سيرته أن صلاح الدين كان حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى. وهو يصفه هذه الصفة وقد كتب كتابا كاملا في صلاح الدين.. (٧)

يقول المقريزي:.. واستمر الحال حتى قدمت عساكر شيركوه ووصول صلاح الدين إلى مصر عام ٥٦٤ ه فصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفرض المذهب الشافعي واختفى مذهب الشيعة الإسماعيلية والإمامية حتى فقد من أرض مصر كلها. كما حمل صلاح الدين الكافة على عقيدة الأشعري في مصر وبلاد الشام ومنها إلى أرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب حتى أصبح الاعتقاد السائد بسائر هذه البلاد بحيث أن من خالفه ضرب عنقه.. (٨)

ويقول ابن تغري بردي في أحداث عام ٥٦٥ ه في ولاية العاضد الفاطمي: وقد وزر له – أي العاضد – الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. لم يكن له مع صلاح الدين إلا مجرد الاسم فقط. وفي عام ٥٦٦ ه يقول: وفيها بني صلاح الدين مدرسة للشافعية وكان موضعها حبس المعونة.. وبنى أيضا مدرسة للمالكية تعرف بدار العزل وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي قضاء القاهرة.. وفي عام ٥٦٧ ه مات العاضد وانقطعت دولة الفاطميين من مصر بموته وأقام صلاح الدين الدعوة العباسية بمصر – أي الدعوة للخليفة العباسي – وأفرد صلاح الدين أهل العاضد ناحية عن القصر. وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه. وسلمهم لخادمه قراقوش فعزل الرجال عن النساء واحتاط عليهم وفرق صلاح الدين الأموال التي أخذها من القصر في العساكر.. (٩)

ويقول ابن خلكان: وتسلم صلاح الدين قصر الخلافة واستولى على ما كان به

من الأموال والذخائر وكانت عظيمة الوصف. وقبض على أولاد العاضد وحبسهم في مكان واحد بالقصر وأجرى عليهم ما يمونهم وعفى آثارهم وقمع مواليهم وسائر نسائهم وفرق بين الرجال والنساء ليكون ذلك أسرع إلى انقراضهم.. وكانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله فلنعم ما فعل. فإن هؤلاء كانوا باطنيين زنادقة دعوا إلى مذهب التناسخ واعتقادهم حلول الجزء الإلهي في أشباحهم.. (١٠)

وكان صلاح الدين كما يقول ابن خلكان قد عزم على القبض على العاضد قبل وفاته هو وأشياعه واستفتى الفقهاء فأفتوه بجواز ذلك لما كان عليه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاشتهار بذلك فكان أكثرهم مبالغة في الفتيا الشيخ نجم الدين الخبوشاني الشافعي.. (١١)

ويعرب ابن خلكان عن فرحه وسعادته البالغة بمنجزات صلاح الدين بقوله:

وأضحى الدين واحدا بعد أن كان أديانا. والبدعة خاشعة. والجمعة جامعة. والمذلة في شيع الضلالة شائعة. وذلك بأنهم اتخذوا عباد الله من دونه أولياء. سموا أعداء الله أصفياء. وتقطعوا أمرهم بينهم شيعا وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعا. وكذبوا بالنار فجعلت لهم نار الحتوف ومزقوا كل ممزق وقطع دابرهم وحقت عليهم الكلمة تشريدا وقتلا (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا).. (١٢)

* ثورات الشيعة:

وكان من نتائج السياسة الإرهابية الدموية التي اتبعها صلاح الدين في مواجهة الشيعة أن فر الشيعة إلى الشام وجنوب مصر حيث لا تزل دعوة التشيع لها أعوانا في مأمن من بطش صلاح الدين. وقد أخذت التجمعات الشيعية هناك في تجميع صفوفها من أجل التصدي له..

ويروي ابن الأثير أنه في عام ٥٦٩ ه وفي شهر رمضان كشفت محاولة للانقلاب على صلاح الدين وقتله من قبل مجموعة من العلويين. وقبض عليهم صلاح الدين وصلبهم وكان على رأسهم عمارة بن أبي الحسن اليمني الشاعر. وله ديوان شعر مشهور في غاية الحسن والرقة والملاحة.. (١٣)

ولقد حاول العاضد أن يتخلص من صلاح الدين وحرض عليه خادمه المؤتمن. إلا أن المحاولة كشفت وقتل المؤتمن على أيدي رجال صلاح الدين..

يروي ابن الأثير حول هذه الحادثة: فغضب السودان لقتل المؤتمن فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفا وقصدوا حرب الأجناد الصلاحية فاجتمع العسكر وقاتلوهم بين القصرين. وكثر القتل بين الفريقين. فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم. فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك فطلبوا الأمان بعد أن كثر فيهم القتل فأجيبوا إلى ذلك فخرجوا من مصر إلى الجيزة. فعبر إليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين الأكبر في طائفة من العسكر فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد.. (١٤)

وفي عام ٥٧٠ ه تجمع السودان حول رجل يدعو لإقامة الحكم الفاطمي في أسوان وقد جمع من حوله خلقا كثيرا..

يقول ابن تغري يروي عن أحداث هذا العام: وكان أهل مصر يؤثرون عودهم – أي عودة الفاطميين – فسير صلاح الدين جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل فساروا والتقوا به – أي بزعيم الثورة – وكسروه. ثم بعد ذلك استقرت له قواعد الملك.. (١٥)

وفي عام ٥٧٢ ه يقول ابن تغري: وفيها كان مقدم السودان من صعيد مصر. ساروا من الصعيد إلى مصر في مائة ألف أسود ليعيدوا الدولة الفاطمية. فخرج إليهم أخو صلاح الدين الملك العادل بكر وبمن معه من عساكر مصر والتقوا مع السودان فكانت بينهم وقعة هائلة وقتل كبير السودان ومن معه.. (١٦)

وهذه هي الثورة الثالثة التي قام بها الشيعة ضد صلاح الدين وكانت في السنة السادسة من حكمه..

وفي نفس العام أيضا وقعت ثورة أخرى في مدينة قفط بصعيد مصر أخمدها صلاح الدين وأرسل لها أخاه العادل على جيش فقتل من أهلها ثلاثة آلاف

وصلبهم على شجرها ظاهر قفط بعمائمهم وطيالسينهم.. (١٧)
وقد تعرض صلاح الدين لعدة محاولات لاغتياله في مصر والشام من قبل عناصر شيعية سعت للانتقام منه بسبب جرائمه في حق الشيعة.. (١٨)
والمتأمل في هذا الصراع الذي دار بين صلاح الدين والشيعة في مصر يتبين له أن صلاح الدين استخدم وسائل غير مشروعة في قمع معارضيه تتنافى مع الإسلام..
وإن لجوء صلاح الدين إلى مثل هذه الوسائل اللا إنسانية التي مارسها على الفاطميين – مثل عزل الرجال عن النساء وإحراق بيوت السودان على أولادهم وأموالهم – هذه الوسائل إنما تكشف عجزه عن استئصال التشيع وحب آل البيت من قلوب المصريين..

هوامش:
(١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٩. وانظر النجوم الزاهرة ج ٥ ترجمة العاضد ص ٣٣٤.. وفيه أن صلاح الدين أفرد أهل العاضد ناجية عن القصر وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه. وسلمهم إلى الخادم قراقوش فعزل الرجال عن النساء واحتاط عليهم..
(٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١١١: ١١٢.. ويبدو أن فرح العباسيين بموت العاضد ونهاية الفاطميين كان أشد من فرحة الأيوبيين. مع العلم أن الأيوبيين يشكلون نفس التحدي والخطورة على العباسيين. لكن هناك فرق. واعتبر ابن إياس أن استيلاء صلاح الدين على مصر من قبيل الفتوحات. انظر بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ١٤٨..
(٣) بدائع الزهور. وفي النجوم الزاهرة: توفي العاضد الخليفة الرابع عشر من خلفاء الفاطميين (ثلاثة في المغرب وإحدى عشر في مصر) عن ثلاث وعشرين سنة. واختلفوا في أسباب وفاته: أحدها أنه تفكر في أموره فرآها في إدبار فأصابه ذرب عظيم فمات فيه. والثاني أنه لما خطب لبني العباس وبلغه ذلك اغتم ومات. والثالث أنه لما أيقن بزوال دولته كان في يده خاتم له فص مسموم فمصه فمات منه.. ج ٥ ص ٣٥٦..
(٤) هناك الكثير من الإشارات التي تؤكد أن صلاح الدين دبر لقتل العاضد. انظر خطط المقريزي وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة والكامل وحسن المحاضرة..
(٥) أحرق صلاح الدين نفائس الكتب التي كانت بدار الحكمة ودار العلم كما أغلق الجامع الأزهر. يروي المقريزي: وأبطل صلاح الدين الخطبة فيه. فلم يزل الجامع الأزهر معطلا عن إقامة الجمعة فيه مائة عام منذ صلاح الدين إلى بيبرس.. ج ٣ / ١٥٠..
(٦) أنظر المراجع التاريخية..

(٧) هو القاضي بهاء الدين الشافعي ت ٦٣٢ ه. والكتاب هو: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. وانظر ترجمة نجم الدين الخبوشاني الفقيه الشافعي نديم صلاح الدين والذي كان يحرضه على الشيعة ويطعن في عقائدها ويكفرها.. ولما مات وجد لديه ألوف الدنانير قد جمعها بغير الحق ولم يصرفها في وجوهها المشروعة. وأسف عليه صلاح الدين وخاب ظنه فيه.. انظر النجوم الزاهرة ج ٦ / ١١٦..

(٨) خطط المقريزي

(٩) النجوم الزاهرة ج ٥..

(١٠) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٤١. نقلا من تاريخ الذهبي. وتأمل قول الذهبي وهو مؤرخ شامي متعصب: أن هذه الفعلة من أشرف أفعاله. ومن أين أتى بهذا الاتهام التناسخ والحلولية. وهل تقول الشيعة بهذا..؟ إن الذهبي نهج نهج مؤرخي السنة مثل ابن كثير وابن الأثير وابن تغري بردي والسيوطي وغيرهم الذين أعماهم الحقد على الشيعة فتصيدوا لها الأخطاء وألقوا عليهم التهم جزافا. والذهبي هذا يعد من تلامذة ابن تيمية وهو الذي قام بتلخيص كتابه منهاج الكرامة. وقد سمى هذا الملخص منهاج الاعتدال وقد انقلب على ابن تيمية بعد ذلك. انظر سير أعلام النبلاء. وانظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة.

(١١) المرجع السابق ص ٣٤٤..

(١٢) المرجع السابق نفس الصفحة.. وتأمل التهم الجزافية غير المعقولة. ومثل اتخاذ عباد الله من دونه أولياء وتسمية أعداء الله بالأصفياء والتكذيب بالنار. إن مثل هذه التهم لم تسرد على لسان أحد من المؤرخين. فضلا عن كونها تنم عن قلة وعي بالعقائد والأديان. فلم توجد فرقة ولا دين أنكر الآخرة أو كذب بالنار. ثم إنه هل توحدت الأمة بقيام الأيوبيين. وهل كان أمرها مجتمعا قبل قيام الفاطميين..؟ وتأمل شماتة مؤرخ آخر هو السيوطي

حيث يقول: وأخذ صلاح الدين في نصر السنة وإشاعة الحق وإهانة المبتدعة والانتقام من الروافض وكانوا بمصر كثيرين.. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ٢ ص ٢٥..
وقد انبرى السيوطي في كتاب أصدره بهذه المناسبة أسماه: كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد..
وألف ابن الجوزي كتابا أسماه: النصر على مصر..
وألف أبو بكر الباقلاني كتابا أسماه: كشف الأسرار وهتك الأستار..
وألف الغزالي كتابا أسماه: فضائح الباطنية..
وألف غير ذلك كثير من الكتب بأوامر وتوجيهات الحكام والسلاطين.. أي جناية تلك التي ارتكبها هؤلاء الفقهاء والمؤرخين في حق الأمة وفي حق تاريخها. وفي حق الأجيال القادمة..؟
ولم يكن أمر الشماتة ينحصر في الفقهاء والمؤرخين بل امتد ليشمل الشعراء الذين يأكلون على كل الموائد الذين أورد شعرهم السيوطي في حسن المحاضرة..
أنشد العماد يقول:
قد خطبنا للمستضئ بمصر * نائب المصطفى إمام العصر
ألستم مزيلي دولة الكفر * من بني عبيد بمصر هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية * مجوس وما في الصالحين لهم أصل
(١٣) الكامل ج ٩ ص ١٢٣ / ١٢٤.. ويروي شهاب الدين المقدس في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين ص ٢١٩ تحت عنوان صلب عمارة اليمني:
اجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية المتعصبة المتشددة المتصلبة وتزاوروا فيما بينهم خيفة وخفية وأحكموا الرأي والتدبير وتبيتوا أمرهم بليل.. وبعد أن أوشى بهم زين الدين علي (واحد منهم) أمر السلطان

بإحضار مقدميهم واعتقالهم لإقامة السياسة فيهم. وصلب يوم السبت ثاني شهر رمضان جماعة منهم بين القصرين منهم عمارة. وأفنى بعد ذلك من بقي منهم..

(١٤) الكامل ج ٩ ص ١٠٣..

(١٥) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤ وانظر أحداث سنة ٥٨٤ ه ومحاولة التحريض على الثورة بالقاهرة.

(١٦) المرجع السابق أحداث عام ٥٧٢ ه. السنة السادسة من حكم صلاح الدين..

(١٧) خطط المقريزي ج ١ ص ٤٣٦. والطيالسين نوع من الملابس.

(١٨) يروي ابن تغري عن أحداث عام ٥٧١ ه: وفيها وثب الإسماعيلية على السلطان وهو على إعزاز - مكان بالشام - جاءه ثلاثة في زي الأجناد فضربه واحد بسكين في رأسه فلم يجرحه وخدشت السكين خده وقتل الثلاثة. وفي حصار صلاح الدين لحلب هاجمت مجموعة فدائيي الإسماعيلية خيمة صلاح الدين واصطدموا بحراسه ودار قتال سقط فيه عدد من القتلى والجرحى من الجانبين. وحدثت غارة إسماعيلية أخرى سقط فيها عدد من الجرحى. مما دفع بصلاح الدين إلى محاصرة قلاع الإسماعيلية بالشام وقتل وأسر الكثيرين. النجوم ج ٦ / ١٠..

بقايا التشيع
واختفى التشيع قرونا
لكنه لا زال باقيا..

هل توقف المد الشيعي بعد العصر الأيوبي..؟
وهل انتهى وجود الشيعة في مصر بعد مذابح الأيوبيين..؟
يحدثنا التاريخ أن أبناء الخليفة العضد وبقايا العائلة الفاطمية
قد تم التحفظ عليهم من قبل الأيوبيين حيث عزل النساء في مكان وعزل الذكور مكبلين في الأغلال في مكان..
يروي المقريزي فلم يزالوا في الاعتقال بدار الأفضل من حارة برجوان إلى أن انتقل الملك الكامل محمد بن المعادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل. فنقل معه ولد العاضد وإخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد. واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية.. (١)
ومع استيلاء الأيوبيين على مصر واستمرار حملات الإبادة والتصفية للشيعة على جميع المستويات. وجد الشيعة أنفسهم أمام خيارات ثلاثة
الأول: اللجوء للتقية وادعاء التسنن
الثاني: الاندماج في الطريق الصوفية..
الثالث: الفرار إلى جنوب مصر والشام واليمن والهند وغيرها.. (٢)
وبمرور الزمن تحول التسنن من ادعاء إلى حقيقة على يد الأبناء والأحفاد

الذين وجدوا في ظل واقع تظلله رايات المذاهب الأربعة وكأنه لا يوجد في الإسلام سواها. مع الافتقاد التام لكل الأدوات الفكرية والبشرية التي تقودهم إلى معتقد الآباء..

وانطبق هذا الحال على قطاعات الشيعة التي اندمجت في الطريق الصوفية وحتى التي فرت إلى الجنوب. أما الذين فروا إلى الشام وغيرها فقد وجدوا متنفسا لهم هناك.. (٣)

ولقد كان أولاد العاضد المعتقلين في سجون الأيوبيين يأملون أن تستمر الانتفاضات الشيعية ضد النظام الأيوبي. وهذا الأمل لم يكن ضاربا في الخيال وإنما كان قريبا من الواقع حيث كان الوجود الشيعي لا زال قويا على ساحته. وما صلاح الدين وجنده إلا فئة دخيلة عليه أقدامها غير راسخة فيه. لكن شيئا من هذا لم يحدث.. (٤)

يروي المقريزي: وملك الأتراك إلى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقاري. فلما كان سنة ست وستون وستمائة. أشهد على من بقي منهم – أولاد العاضد – وهم كمال الدين إسماعيل بن العاضد. وعماد الدين أبو القاسم بن الأمير أبي الفتوح ابن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم العاضد.. بن جميع المواضع التي قبل المدرسة الصالحية من القصر الكبير والمواضع المعروفة بالتربة ظاهرا وباطنا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعي بالخط المذكور. وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملية. وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي. وجميع الموضع المعروف بدار الفطرة بخط المشهد الحسيني. وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان. وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة. وجميع قصر الزمرد وجميع البستان الكافوري.. ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري.. من وجه صحيح شرعي لا رجعة فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا شئ منه. ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه خلافا في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لآبائهم.. وأرخ ذلك الإشهاد بثالث عشر

ربيع الأول سنة ستين وستماءة وأثبت على قاضي القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز الشافعي. وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا إليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال. وقبض أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة وغيرها ورسم بيعها. فباعها وكيل بيت المال.. (٥)

بين التصوف والتشيع:

هل التصوف هو الوجه الأخر للتشيع..؟

وما هو سر هذا التواجد القوي لحركة التصوف في مصر..؟

هل هو استثمار لحب آل البيت الكامن في نفوس المصريين..؟

وهل تمكن هذا الحب في قلوب المصريين يعود إلى التصوف أم إلى التشيع..؟

وما هو موقف الطرق الصوفية من الشيعة..؟

إن تاريخ التشيع في مصر يسبق تاريخ التصوف بفترة زمنية طويلة. وهذا هو التاريخ الطبيعي لحركة التصوف باعتبارها حركة وليدة التشيع..

ويبدو أن الأيوبيين والمماليك من بعدهم لم يتمكنوا من القضاء على التشيع في مصر عن طريق دعم المذاهب الأربعة. فاضطروا إلى احتضان الصوفية ودعمها هي الأخرى لكونها تملك القدرة على احتواء التشيع وتصفيته على أساس أن حركة التصوف ترفع شعار آل البيت الذي ترفعه الشيعة. وتبني الصوفية لشعار آل البيت لا يشكل أي خطورة على القوى الحاكمة لأنه قائم على أساس عدم الوعي بحقيقة هذا الشعار. فمن ثم فتحت الحكومات الطريق أمام الصوفية لتحتوي الجماهير وتستقطبها حتى سادت الواقع المصري.. (٦)

إن الصوفية إنما سادت في مصر وأصبحت التيار الإسلامي الأول على حساب آل البيت وبدونهم ما كان لها وجود ولا ذكر.. (٧)

ولا تزال مصر بفضل هذا الحب الكامن في نفوس الجماهير لآل البيت والذي

يعد أهم المعالم الشيعية الباقية والتي تقف سدا منيعا في مواجهة خط بني أمية وبني العباس وبني أيوب والمماليك والعثمانيين من بعدهم. وخط الوهابيين الذين يدعمهم آل سعود في الوقت الحاضر والذي يعد استمرارا لخط النواصب أعداء آل البيت تفريخ السفياني.. (٨)

وعلى الرغم من أن صوفية مصر يرفعون شعار الخلفاء الأربعة الذي تقوم على أساسه عقيدة أهل السنة. ذلك الشعار الذي اخترع خصيصا لضرب آل البيت – رغم ذلك هناك اتجاهات صوفية لديها قدر من الوعي يؤهلها لفهم حقيقة المؤامرة التي حيكت ضد آل البيت ويخرجها من دائرة التصوف إلى دائرة التشيع.. (٩)

ولقد شكل التيار الصوفي ولا زال – سدا منيعا حال دون اختراق الدعوة الوهابية للشارع المصري. كما فشلت الحركة الإسلامية في اختراقه بسبب تبنيها هذه الدعوة.

الأشراف:

كان الأشراف من أبناء الإمام علي (ع) متواجدون في مصر من قبل ظهور الدولة الفاطمية ولهم أنشطتهم المشروعة والمعترف بها من قبل حكومات الولاة المتعاقبة على مصر..

ولم تكن أنشطة الأشراف هذه لها صلة بالسياسة إنما كانت أنشطة تقليدية هدفها تدبير أمور الأشراف والدفاع عن مصالحهم ورعايتهم من قبل نقيب يمثلهم كما هو حال أعيان المجتمع المصري وطوائفه آنذاك..

يقول القلقشندي: نقابة الأشراف أو نقابة الطالبيين لا يكون نقيبها إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلهم قدرا. وله التصرف في أمورهم وحمايتهم من الأدعياء وعيادة مرضاهم والسير في جنائزهم وقضاء حوائجهم. ولا يقطع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة شيخهم.. (١٠)

وهناك بركة ماء كانت معروفة بمصر تعرف ببركة الحبش. وكان ماء الذيل يغرقها في موسم الفيضان. ثم تزرع بعد زوال الماء منها. وقد أوقفت أراضي هذه

البركة على الأشراف. أوقفها على الأشراف من ولد علي بن أبي طالب من فاطمة طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاضد من الخلفاء الفاطميين.. (١١)
وكان لنقيب الأشراف اثنا عشر نقيبا. ويخلع عليه. فيسير بالطبل والبوق والجنود مثل الأمراء وله ديوان ومشارف وعامل ونائب وجارية في الشهر عشرون دينارا ولمشارف ديوانه عشرة دنانير ولنائبه في النقابة ثمانية دنانير. وللعامل خمسة دنانير.. (١٢)
واستمرت نقابة الأشراف في مصر طوال تلك العصور حتى عصرنا الحاضر. إلا أنها في بعض فترات هذه العصور وأمام بعض الأحداث التي مرت بالساحة العصرية برز للنقابة دور على الساحة السياسية في ظل نقابة السيد عمر مكرم الذي فاد عدة انتفاضات شعبية ضد الفرنسيين حين دخلوا مصر وضد الإنجليز حين قادوا حملة عام ١٨٠٧ م وضد ولاة العثمانيين عام ١٨٠٥ م. وقد تمكن من الإطاحة بأحمد خورشيد باشا الوالي العثماني وتولية محمد علي مكانة.. (١٣)
ومن الأشراف الذين أصبحوا أعلاما ورموزا وطنية السيد أحمد عرابي الزعيم الوطني الذي قاد حركة الجيش المصري في مواجهة الخديوي توفيق وفي مواجهة الإنجليز وقاد معارك عسكرية في مواجهتهم انتهت بنفيه من مصر.. (١٤)
وينتشر الأشراف اليوم في صعيد مصر وهناك بلدة في الجنوب تتبع محافظة قنا تسمى " الأشراف " ومعظم أهلها ينتسبون إلى أهل البيت مما يشير إلى الهجرات الطالبية والشيعية لجنوب مصر..
والأشراف في الأصل هم من شيعة أهل البيت الذين وفدوا إلى مصر وقد انصهروا في المجتمع المصري السني بفعل ضغوط سياسية واجتماعية إلا إنه لا زال هناك القليل منهم ما زال متمسكا بعقيدته الشيعة.. ويبدوا هذا عند قبائل الجعافرة التي تسكن جنوب مصر حول محافظة أسوان والتي تدعي الانتساب للإمام جعفر الصادق. فهذه القبائل غالبيتها من المنتسبين للطرق الصوفية والقلة القليلة منها تلتزم بعقيدة الشيعة الإمامية.. (١٥)

مدن شيعية:
هناك عدد من المدن في مصر برز التشيع فيها وارتبط بها دون غيرها من مدن مصر. ولعل السبب في ذلك يعود إلى هجرات الطالبيين أو العلويين إلى هذه المدن. أو يعود إلى وجود عدد من دعاة التشيع الذين استقروا بها..
وجنوب مصر بمدنه أسوان واسنا وادفو وأرمنت وقفط كان مركزا للتشيع حتى فترة قريبة ولا تزال به بقايا تشيع حيت اليوم. حيث كان الجنوب ملجأ للشيعة الفارين من وجه الأمويين والعباسيين والأيوبيين والمماليك فيما بعد..
وكان وجود الصالح طلائع كوال للصعيد من قبل الفاطميين قد أسهم إلى حد كبير في نشر التشيع بين ربوعه. فقد كانت للصالح إهتمامات دعوية وثقافية وأدبية بالإضافة إلى اهتماماته السياسية.
وكانت القاهرة هي مركز حركة التشيع في مصر باعتبارها عاصمة الدولة الفاطمية ومقر الدعوة ومنها ينطلق الدعاة إلى أقاليم مصر ونجوعها..
والمدن الشيعية بالصعيد هي التي فجرت الثورات ضد صلاح الدين كما فجرت ثورات أخرى ضد المماليك والعثمانيين.. (١٦)
وعلى الرغم من وجود الدولة الفاطمية في مصر وسيطرتها على كل ربوعها شمالها وجنوبها لا نجد أثرا بارزا للتشيع في مناطق الوجه البحري (الشمال)..
وربما يكمن السبب في هذا إلى أن الهجرات العربية إلى مصر والتي تتابعت مع حركة الفتح الإسلامي استقرت في الجنوب وتمركزت به. وأن الشمال حتى ذلك الوقت كان يتكون من أخلاط الناس ممن أصولهم غير عربية..
وقد كانت هناك أماكن ومدن في مصر موقوفة على العلويين. كمدينة قفط التي كانت وقفا على العلويين من أيام الإمام علي (ع).. (١٧)
وكان في القاهرة تجمعات شيعية تقل وتكثر حسب أحوال الزمان في حي الحسين وكانت أغبلها من الشيعة الوافدين إلى مصر بهدف الاستقرار فيها. والذين

كانوا يقدمون من الشام وبلاد فارس والعراق وغيرها.. ولا تزال لهذه العائلات بقايا في مصر حتى اليوم..
يروي صاحب الخطط التوفيقية أن الأعاجم عن الشيعة كانوا يفضلون السكن بالقرب من المشهد الحسيني ويتظاهرون في مولده بالزينة الفاخرة والولائم العظيمة ويحزنون عليه حزنهم المشهور. ويجتمعون في منزل يتخذونه لذلك ويخطب أحدهم بالفارسية شعر رثاء آل البيت..
وقد استمرت مواكب الشيعة احتفالا بذكرى عاشوراء حتى فترة قريبة ويبدو أن هذه المواكب من بقايا العهد العثماني الذي أتيحت في أواخره فرصة لبروز شيعي وإن كان محدودا. وقد ذكر صاحب الخطط التوفيقية ما يشير إلى ذلك..
عادات وتقاليد شيعية:
على الرغم من حملات الحصار الفكري التي شنها الأيوبيين على المصريين لمحو معالم التشيع من نفوسهم. وتعمدهم القضاء على العادات والتقاليد الشيعية خاصة المواسم والأعياد. رغم ذلك بقيت الكثير من العادات والتقاليد الشيعية توارثها المصريون جيلا بعد جيل حتى زماننا هذا. بل أصبحت هذه العادات والتقاليد جزءا من الشخصية المصرية..
وأن وجود مثل هذه العادات والتقاليد حتى اليوم ليدل دلالة واضحة على أن التشيع استمر وجوده في الواقع المصري رغم البطش والارهاب والتعتيم..
ومن بين العادات الشيعية الباقية في مصر اليوم ذكرى عاشوراء وإن كان صلاح الدين قد حولها من ذكرى حزينة إلى ذكرى سعيدة واستمر المصريون يحتفلون بها على طريقته.. (١٨)
كذلك هناك ذكرى الاحتفال بليلة النصف من شعبان وهي عادة شيعية لا تزال باقية تحتفل بها الطرق الصوفية اليوم..
وهناك الاحتفال برأس السنة الهجرية وهي عادة ابتدعها الفاطميون ولا تزال مستمرة إلى اليوم.. (١٩)

وعادة اقتناء الفوانيس في رمضان ولعب الصبيان بها في الطرقات من العادات الشيعة التي لا زالت تمارس في رمضان وقد انتقلت من مصر إلى بلاد أخرى..

وعلى مستوى الأسماء لا يزال اسم " السيد " من الأسماء المنتشرة في مصر. ولا يزال هذا الاسم يطلق على كبار القوم وأعيان الناس من باب التشريف وتعلية المقام. فيقال السيد فلان والسيدة فلانة..

واسم السيد هو في الحقيقة صفة تشريفة خاصة بالأشراف المنتسبين لآل البيت فهي لا تطلق إلا على الأشراف فقط. فيقال السيدة زينب أو السيدة نفيسة أو سيدنا الحسين أو السيد عمر مكرم أو السيد رفاعة الطهطاوي. إلا أن المصريين أشاعوها بينهم من باب تعلية مقامهم ومكانتهم..

وبالإضافة إلى اسم السيد هناك اسم على والحسن والحسين والذي حرفه المصريون استسهالا للنطق إلى حسن وحسين وتعد هذه الأسماء من أكثر الأسماء شيوعا في مصر بالنسبة إلى الرجال. أما بالنسبة إلى النساء فهناك اسم فاطمة وزينب وسكينة ونفيسة وغيرها..

وفي مجال الأطعمة لا يزال كثير من المصريين يقاطعون الأرانب ولا يأكلونها وهي محرمة في مذهب الشيعة.. (٢٠)

وعلى الجانب الآخر كانت هذاك مسبة دائمة لشيعة مصر بدأت مع العصر الأيوبي لا تزال بقاياها ترددها السنة العوام دون أن تدرك معناها وهي قولهم في حالة الغضب من شخص ما يا ابن الرفضي.. وهي مسبة مشتقة من تسمية الشيعة بالروافض..

التشيع المصري

طغت الطبيعة المصرية على التشيع كما طغت على التسنن. وأصبح للشخصية

المسلمة في مصر سماتها الخاصة التي ميزتها عن الشخصيات الأخرى..
ولقد تعاملت الشخصية المصرية مع الدين وفق ثوابت لا تتغير حتى ولو كانت تتناقض مع هذا الدين وتصطدم به.. (٢١)
وتحاول الشخصية المصرية على الدوام صبغة الدين بشخصيتها لا أن تنصبغ هي بالدين.. ويبدو ذلك من تركيز المصريين على الجانب السهل البسيط من الدين الذي يتفق مع إهمال الجانب الآخر الذي يفرض عليهم تبعات وتكاليف لا تلائمهم.. (٢١)
ويبدو لين المصريين في تناول الدين بشكل عام. وفي تناول التشيع بشكل خاص. فهذا اللين هو أحد الملامح الثابتة في الشخصية المصرية..
ولقد ولد هذا اللين ميلا من قبل المصريين للترهبن والمبالغة في الانغماس في الشعائر الشكلية والأمور الهامشية والتعلق بمثالية الماضي.. وانعكس هذا الأمر على التيارات الإسلامية العاملة بالساحة المصرية والتي صبغت جميعها بالصبغة السلفية. مما سهل على المد السعودي الوهابي التغلغل في صفوفها واحتوائها..
ولعل سر عداء التيارات الإسلامية ومتديني مصر عموما للشيعة هو اعتقادهم أنها لا تحترم السلف ولا تقر بمثاليتهم.. (٢٢)
وإذا كان التشيع المصري كالتسنن. فما هي ملامح هذا التشيع..
- السلفية المترهبنة..
- الانعزالية..
فالطابع السلفي طغى على شيعة مصر وأصبح ملمحا هاما من ملامح شخصية الشيعة المصرية. ويبدو هذا بوضوح في ميلهم للقراءات التراثية دون القراءات الفكرية المعاصرة. حتى أن بعضهم هاجم دار البداية لكونها ركزت منشوراتها على النتاجات الفكرية والثقافية المعاصرة لمفكري الشيعة.. (٢٣)

وعلى الرغم من مرونة الشيعية وتغاضيها عن الأمور الشكلية واهتمامها بالمضمون والجوهر. نرى الكثير من شيعة مصر يصرون على التمسك باللحية وإطالتها بحيث يصعب تمييزهم السنية الوهابية..
وفي الوسط الشيعي المصري الكثير من العناصر الثرية لكن ترهبنها يحول دون التحرك الإيجابي لصالح دعوتهم.. (٢٤)
ولقد بررت حالة الرهبنة هذه الانعزال عن الواقع وتلحفت بفكرة الانتظار (انتظار الإمام الغائب) فهذه الفكرة وجدت فيها الشخصية المصرية ملاذها كي تبرر موقفها السلبي من الواقع على أساسها.. ولعل التدين السلبي هذا هو الذي سهل لصلاح الدين استئصال الشيعة من مصر.. (٢٥)

هوامش:
(١) يروي المقريزي: وتولى وضع القيود في أرجلهم الأمير فخر الدين الطبنا أبو شعره بن الدويك والي القاهرة، انظر اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ج ٣ / ٣٤٧..
(٢) الصدام بين صلاح الدين والشيعة في مصر يشبه إلى حد كبير الصدام الذي وقع بين عبد الناصر والإخوان المسلمين في الخمسينات. فالشيعة كانت قوة فاعلة لكنها تقاعست عن القضاء على صلاح الدين من بداية عهده بمصر. وكذلك الإخوان تقاعسوا عن القضاء على عبد الناصر. ونفس حملات البطش والارهاب والتشريد التي مارسها صلاح الدين ضد الشيعة. هي نفس الأساليب التي مارسها عبد الناصر ضد الإخوان. حتى أن عبد الناصر أحرق مكتبات الإخوان كما أحرق صلاح الدين مكتبات الشيعة. كما أن رد الفعل واحد في الحالتين. الشيعة فروا من مصر. والإخوان فروا منها أيضا..
(٣) ربما يعود سبب الهجرة لهذه البلاد إلى الوجود الشيعي القوي فيها ذو العمق التاريخي بالإضافة إلى التنوع الطائفي..
(٤) هذا يعود إلى الطبيعة المصرية التي لا تميل إلى العنف وكانت لا تتوقع من صلاح الدين أن تتسع حملته من دائر الانتقام من الفاطميين إلى دائرة الانتقام من الشعب الشيعي. وربما كان هذا أيضا هو موقف الإخوان بشعبيتهم الجارفة. من عبد الناصر..
(٥) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٦. ويذكر أن قاضي القضاة شمس الدين بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية اشترى قاعة السدرة وهي من ممتلكات الفاطميين بألف وخمسه وسبعين دينارا من كمال الدين بن الفقيه وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس. انظر الخطط.. والسؤال هذا: من أين اتى ابن مسرور بهذه الأموال؟

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه هنا: هل كانت عائلة العاضد لا تزال تشكل خطرا على نفوذ المماليك حتى يتم تجريدها من بقايا ممتلكاتها..؟
وتأمل القرار المملوكي الذي أصدره والي المماليك على الشام عام ٦٧٤ ه والذي يمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالها من اعتقاد الرافضة والشيعة وردعهم والرجوع إلى السنة والجماعة واعتقاد مذهب أهل الحق وإلا دمائهم وأموالهم مباحة.. انظر نص القرار بالكامل في صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣ / ١٣ وما بعدها. وانظر احداث عام ٧٠٥ ه حين قام المماليك بفتوى لا بن تيمية وبتحريضه ومشاركته. في ارتكاب مذبحة كسروان الشهيرة للشيعة في لبنان.. وإذا كانت هذه هي سياسة المماليك تجاه الشيعة في الشام. فكيف تكون سياستهم تجاه شيعة مصر..؟
ومثل هذه السياسة الارهابية الدموية كفل لها أن تقضي على الوجود الشيعي في مصر في زمن قياسي..
(٦) حول علاقة الأيوبيين والمماليك بالصوفية انظر خطط المقريزي وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة ويذكر أن الطرق الصوفية تبنت المذاهب الأربعة والتزمت بها فهناك طرق شافعية وأخرى مالكية وحنفية. إلا أنها ترفع شعار آل البيت وبذلك تحقق هدف الحكام بإدخال الجماهير المصرية في دائرة المذاهب الأربعة وسحبها من التشيع تدريجيا..
(٧) انتسب كثير من المصريين لآل البيت زورا وبهتانا وحصلوا على شهادات مزرورة بذلك لإدخالهم ضمن الأشراف. وكانت هذه الشهادات تباع وتشترى. ويبدوا أن الحكام كان لهم دور في ذلك حيث دسوا الكثير من عناصرهم ضمن الأشراف والموالين لآل البيت بهدف تشويه حركتهم والانحراف بها عن مسارها الصحيح..
يروي المقريزي في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٣. القسم الأول ص ٢١ من أحداث عام ٧٥٦ ه: أنه في خامس عشر جمادى الآخرة قطعت يد الشريف المزور. وضرب أصحابه بالمقارع وشهروا. وكان في

التزوير ومحاكاة الخطوط عجبا. وسجن بسبب ذلك مزارا..
(٨) أنظر لنا. السيف والسياسة في الإسلام. والنواصب جمع ناصبي. وهو تعبير يطلق على الذين يناصبون آل البيت العداء. ويعد بني أمية وبني العباس ومن سار على دربهم من النواصب. والسفياني هو رمز لخط سوف يبرز آخر الزمان تنبأت به الكتب يقود الحرب على خط آل البيت. انظر السفياني وعلامات الظهور. ط. بيروت.. وأبواب الفتن وعلامات آخر الزمان في كتب الأحاديث.
(٩) من بين الاتجاهات الصوفية المتعاطفة مع الشيعة اليوم في مصر اتجاه الطريقة العزائمية التي تصدر مجلة الإسلام وطن والتي تحوي مقالات مناهضة للوهابية والسعودية. والغريب أن هذه المجلة لا تذكر آل البيت إلا وتسلم عليهم كما هو حال الشيعة. وقد أصدرت عددا على غلافه موضوع يتعلق بمكان وضعت فيه رأس الحسين بالشام أثناء نقلها إلى مصر. وكتب على الغلاف بجوار كلمة الحسين. كلمتي: عليه السلام.. وهناك أيضا اتجاه جماعة العشيرة المحمدية التي تصدر مجلة المسلم والتي يرأسها الأستاذ محمد زكي إبراهيم. وهي جماعة متعاطفة مع الشيعة وتحترم أطروحتها. وللأستاذ محمد زكي رائد العشيرة عدة كتب يهاجم فيها التيار السلفي الوهابي ويثني على الشيعة. وقد أصدر مؤخرا كتابا عن مراقد آل البيت في القاهرة ناقش فيه قضية شد الرحال وأثبت حديث الثقلين.. وهناك بالإضافة إلى ذلك طرق صوفية شيعية باطنا صوفية ظاهرا..
(١٠) صبح الأعشى ج ٣ / ٤٨١ / ٤٨٢.
(١١) المرجع السابق ج / ٣٣٦.. ويقول السيوطي في الحاوي للفتاوي ج ١: إن اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت العلوي أو العباسي فلما ولى الفاطميون مصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط فاستمر ذلك بمصر إلى الآن..
(١٢) اتعاظ الحنفا ج ٣. وقد استمرت نقابة الأشراف حتى عهد عبد الناصر

حيث قطعت الدولة الرواتب التي كانت تعطى للأشراف. ثم عاودت نشاطها اليوم وكتبت إعلانا تطالب فيه الأشراف بالانتساب إليها ومعهم المستندات التي تثبت نسبهم..

(١٣) السيد عمر مكرم الحسيني نقيب الأشراف في زمانه. انظر سيرته في كتاب عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية سلسلة أعلام العرب عدد رقم ٦٧..

(١٤) أحمد عرابي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم (ع). انظر سيرته طبع دار الهلال. ومن أعلام الأشراف أيضا السيد رفاعة الطهطاوي..

(١٥) يقال إن قبائل الجعافرة هذه تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب وهناك قبائل تدعى الجوادية شيعية بالكامل في الصحراء الغربية جنوب مصر وتعيش شبه معزولة عن المجتمع بعكس قبائل الجعفرية الذين انتشروا بين ربوع مصر وفي خارجها.

(١٦) أنظر فصل صلاح الدين والشيعة..

(١٧) معجم البلدان ياقوت الحموي. باب القاف..

(١٨) أنظر خطط المقريزي..

(١٩) يعتبر يوم رأس السنة الهجرية عطلة رسمية في مصر. وتحتفل به الحكومة كل عام..

(٢٠) وذلك مثال القول الذي يقولونه العامة لبعضهم عند العراك: " أنا حاخليك تعمل عيشه " وهو تشبيه لحالة عائشة حين انكسرت في موقعة الجمل. ومسبة عمر مثال القول التي تقوله النسوة حين يتعاركن: " لا لا يا عمر " نسبة إلى حكايات فاطمية موروثة عن عمر..

(٢١) أنظر لنا الحركة الإسلامية في مصر رؤية واقعية لمرحلة السبعينات فصل تركيبة الواقع.. ويروي ابن تغري أنه ظهرت دعوة شيعية للثورة ضد صلاح الدين في القاهرة قادها اثنى عشر رجلا رشقها العامة بالحجارة ووجهت لأصحابها الشتائم و ذلك في عام ٥٨٤ ه.. وربما تكون هذه

الطبيعة اللينة هي التي أدت إلى تقاعس المصريين في مواجهة صلاح الدين..

(٢٢) تعتبر الشيعة أن الصحابة والسلف عموما إلا قليلا منهم تآمروا على آل البيت وتحالفوا مع الحكومات التي قامت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خلفاء وأمويين وعباسيين.. فالشيعة تحترم السلف الذين والوا آل البيت وناصروهم وتنبذ الذين عادوهم أو ناصروا أعدائهم..

وعلى الجانب الآخر يقف أهل السنة نفس الموقف من سلف الشيعة ولا يتخذوهم قدوة لهم وفي مقدمتهم آل البيت وأبنائهم ومن تتلمذوا على أيديهم. بل تروى الكثير من الروايات التي تقلل من شأن آل البيت وترفع مقام خصومهم. وذلك مثل الروايات التي تساوي بين معاوية والإمام علي. وتفضل عليه أبو بكر وعمر وعثمان. ومثل تأويل النصوص الواردة في آل البيت على غير معناها. وهناك روايات كثيرة على لسان السلف وفي مقدمتهم ابن تيمية تنتقد الإمام الحسين لخروجه في كربلاء وتدافع عن يزيد وتثني عليه..

أنظر فتاوي ابن تيمية ج ٢٧ باب البغاة وانظر تاريخ ابن خلدون وابن كثير. وانظر لنا فقه الهزيمة. فصل الرجال..

وموقف السنة هذا يعود إلى أسباب سياسية ثم تحول هذا الموقف بعد ذلك إلى موقف علمي على يد السلف وتلحق بكثير من النصوص النبوية الموضوعة لأغراض سياسية وهو موقف سائد إلى اليوم ورثته التيارات الإسلامية المعاصرة ويتجلى في رفض قراءة الكثير من الكتب السلفية لمجرد أن مؤلفيها من الشيعة أو ممن اتهموا بالتشيع..

انظر لنا: أحاديث صنعتها السياسة. والعقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف.. ويعتبر موقف الشيعة من الصحابة خاصة من أبي بكر وعمر هو الأساس الذي اعتمد عليه خصوم الشيعة في شن الحرب عليها في مصر..

---

(٢٣) سوف نتحدث عن دار البداية في فصل رد الفعل الشيعي. وانظر نماذج كتب دار البداية في ملاحق الكتاب..

(٢٤) وكما هو الحال بالنسبة للتيارات الإسلامية فقد اندس في وسط الشيعة الكثير من العناصر المشبوهة التي تسعى لتحقيق مكاسب على حساب الشيعة. مثال ذلك عناصر تعمل لحساب جهات أمنية. وعناصر تدعي الانتساب لآل البيت والصلة بكبار مراجع الشيعة.

(٢٥) هناك عائلات شيعية مصرية من أصول إيرانية وعربية لا تزال تلتزم بالتقية وبعضها ذاب قلب الواقع ولم يعد يحمل من التشيع سوى الاسم.. ومن بين العائلات الشيعة المصرية عائلة السيدة الراحلة تحية كاظم زوجة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. وهناك نموذج النموذج آخر يعكس الطبيعة السلبية لبعض الشيعة في مواجهة الواقع ذلك النموذج المتمثل في مجموعة القائمين على جمعية آل البيت حيث أن الجمعية قد حلت على حكم قضائي ببطلان قرار الحل وأصبح عودتها أمرا مشروعا. لكن القائمين على الجمعية تقاعسوا عن تنفيذ حكم القضاء الذي صدر لصالح الجمعية سنوات طويلة خوفا من الاصطدام بجهاز الأمن وانتظارا لانفراج الأوضاع.. انظر الفصل الخاص بجمعية آل البيت..

أعيان الشيعة في مصر
لا زالوا يلقوا بظلالهم على الحاضر..

في مصر الكثير من أعيان الشيعة الذين لا تزال آثارهم باقية حتى اليوم ومشاهدهم معروفة ومحل إقبال مسلمي مصر. فعلى الرغم من حملات التشويه والتعتيم التي لاقتها حركة التشيع في مصر وحملات البطش والكيد والتنكيل التي لا حقت أنصارها فيها من قبل الحكومات السنية المتعصبة بداية من الدولة الأموية وحتى الدولة العثمانية – على الرغم من ذلك بقت الرموز الشيعية بارزة وضاءة تعلن أمام الجميع أن للشيعة جذورها القوية والعميقة في هذا البلد.

ولقد كانت فترة الحكم الفاطمي التي بدأت بعد سقوط الأخشيديين هي فترة ازدهار النشاط الشيعي في مصر والذي كان قد طوق وضرب من قبل الحكومات التي سبقت الفاطميين. وقد تم التعتيم على هذه الفترة من قبل الحكم الأيوبي الذي ورث حكم مصر بعد سقوط الفاطميين ومن قبل المماليك والعثمانيين من بعد ذلك حيث تم تحويل مصر من دولة شيعية حكومة وشعبا إلى دولة سنية بالحديد والنار وإن كانت بقيت عقيدة آل البيت وحبهم وموالاتهم باقية في نفوس الجماهير.. (١) وليس ما يجري أمامنا في ذكرى مولد السيدة زينب ومولد الحسين ومولد السيدة نفيسة إلا دليلا على كون هذه الرموز لا تزال تعيش في وجدان وقلوب المصريين.

كما أن حركة التصوف المنتشرة في مصر والتي لها وجودها البارز في الشارع العصري إنما تستمد وجودها ونفوذها من هذه الرموز وبرفع شعار آل البيت..

إن أعيان الشيعة في مصر لا زالوا يلقون بظلالهم على الحاضر ولا تزال آثارهم ويصماتهم واضحة على هوية الإسلام بمصر..
ومن أبرز أعيان الشيعة في سوى السيدة زينب والحسين والسيدة نفيسة.
مالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر. وطلائع بن زريك (الملك الصالح) والأمير بدر الجمالي والأفضل أمير الجيوش والقاضي النعماني والأمير المختار المعروف المسبحي وسوف تتناول كل شخصية من هذه الشخصيات في هذا الفصل حسب الترتيب التاريخي..
مالك الأشتر:
هو مالك الأشتر النخعي أو مالك بن الحارث النخعي الساعد الأيمن للإمام علي (عليه السلام) وسيفه البتار. خاض مع الإمام معاركة التي خاضها في مواجهة أهل القبلة من الصحابة والخوارج وأهل الشام. وكانت له مكانة خاصة عند الإمام الذي كان يعتبره من أتباعه المخلصين الذين يوالونه بقلوبهم وسيوفهم..
وقد أسهم مالك في وقعة الجمل كما أسهم في الثورة على عثمان وقاد المعارك ضد معاوية في وقعة صفين وكاد أن يحقق النصر ويدحر جيوش الشام لولا حيلة ابن العاص برفع المصاحف.. (٢)
ويعرف عن مالك شدته في الحق وتعصبه للإمام علي ومن مظاهر هذه الشدة أنه كان يهدد المترددين والمتوقفين عن بيعة الإمام ويجبرهم على بيعته كما كان من المعارضين لوقف القتال في صفين واختاره الإمام حكما بينه وبين معاوية إلا أن الخوارج رفضوا هذا الاختيار لخوفهم من أن يتسبب الأشتر في تفجر الصراع من جديد يعد أن توقف بسبب طلب التحكيم.. (٣)
وأثناء الصراع بين الإمام ومعاوية كانت أبصار الإمام تتجه نحو مصر التي بدأ يحرك فيها معاوية أنصاره بدعم من عمرو بن العاص الذي كان قد اتفق مع معاوية على أن يعطيه ولاية مصر مقابل الوقوف إلى جواره ضد الإمام.. وكان الإمام قد عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأقام مكانه محمد بن أبي بكر..

إلا أن الواضح من سير الأحداث أن محمد بن أبي بكر لم تكن لديه القدرة التي تعينه على مواجهة مثيري الفتن والمتآمرين لحساب معاوية.. وهنا قرر الإمام أن يرسل مالك إلي مصر لحسم الصراع الدائر هناك وتسلم زمام القيادة من محمد بن أبي بكر.. (٤)

وقد أحدث هذا القرار هزة كبيرة لمعاوية وابن العاص اللذان كانا يخشيان مالك أشد الخشية واضعين في حسابهم الآثار المترتبة على وصوله إلى مصر وتسلمه زمام القيادة فيها. خاصة أن الإمام قد سلمه ميثاقا وعهدا يستعين به في حكم مصر.. (٥)

لقد كان معاوية يدرك تماما أن وصول مالك إلى مصر يعني ضياعها وخروجها عن دائرة نفوذه فمن ثم سعى ابن العاص إلى تحريضه للعمل على الحيلولة دون وصول مالك لعصر..

ولم يكن هناك من حل معاوية وابن العاص سوى التخلص من مالك فكان أن حرض معاوية رجل من أهل الخراج بمصر الذي لقى الأشتر وهو في طريقه لعصر واستضافه وسقاه عسلا مسموما مات بعده.. (٦)

وكان حزن الإمام عليه شديدا وكانت فرحة معاوية أشد وقد قال مقولته الشهيرة عند سماعه خبر وفاته: إن الله جندا من العسل.. (٧)

وكان مالك الأشتر من بين عصبة المؤمن الذين قاموا بتغسيل وتكفين ودفن أبي ذر الغفاري حين مات في الصحراء وحيدا بعد أن نفاه عثمان.. (٨)

محمد بن أبي بكر:

هو ربيب الإمام علي الذي تزوج بأمه بعد وفاة أبي بكر.. وكان مولده في حجة الوداع وأمه هي أسماء بنت عميس الخثعمية..

وقد شارك محمد بن أبي بكر في وقعة صفين مع الإمام ولازمه ونهل من عمله وخبرته وكان له بمثابة التابع الأمين..

وفي أثناء الصراع بين معاوية والإمام بعد مصرع عثمان وقعت في مصر عدة انتفاضات كان المحرك الأساسي لها أنصار عثمان من أهالي قرية خربتا والذين استثمر هم معاوية في إثارة القلاقل في مصر ضد ولاة الإمام علي..
وأصدر الإمام قرارا بعزل قيس بن سعد بن عبادة وإليه على مصر ودفع بمحمد ابن أبي بكر ليحل محله..
وتسلم ابن أبي بكر الأمر من قيس الذي أوصاه قبل رحيله من مصر بأن يعمل على كسب أهل خربتا إلى صفه وأن يكايد بهم معاوية وابن العاص (إنك إن كايدتهم بغير ذلك تهلك..).. (٩)
يروي السيوطي: ولم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيبا بالديار المصرية حتى كانت وقعة صفين. ولما بلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق وصاروا إلى التحكيم. فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترؤا عليه وبارزوه بالعداوة. والمقصود بأهل مصر هنا هم أهل خربتا وأنصار عثمان. فلما ولى عليها الأشتر النخعي عظم ذلك على معاوية لأنه كان يطمع في انتزاعها من ابن أبي بكر وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته. وكان أن قتل الأشتر بالسم. واستمر ابن أبي بكر على الديار المصرية. وكان ضعف جأشه مع ما فيها من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلدة خربتا وكانوا قد استفحل أمرهم. وعين معاوية عمرو بن العاص لنيابة مصر ففرح بها وتحالفت خربتا مع عمرو. وحاصر أهل الشام ابن أبي بكر وقبض عليه وقتل عام ٣٨ ه.. (١٠)
وفي رواية ابن تغري: كان معاوية يهاب مصر لأجل الشيعة وقصد معاوية أن يستعين بأخذ مصر على حرب علي. وسير الجيوش بقيادة ابن العاص الذي أرسل لابن أبي بكر يطلب منه الاستسلام والخروج من مصر. إلا أن محمد بن أبي بكر رفض الاستسلام ونشبت معركة هزم فيها جند محمد وأخذ أسيرا وأعدم حرقا في جيفة حمار ميت. وقيل أنه قطعت رأسه وأرسلت لمعاوية بدمشق وطيف به وهو أول رأس طيف به في الإسلام.. (١١)

ويبدو أن الفتن والمؤامرات كانت أكبر من محمد ابن أبي بكر والامكانيات المتاحة له في مصر. وقد حرص كثير من المؤرخين على إظهار ابن أبي بكر بمظهر الرجل العاجز والمستبد عديم الرأي والحنكة وكأن هذا طعنا غير مباشر للإمام علي الذي اختاره لهذه المهمة..

إلا أن الحقيقة هي أن التواجد الشيعي في مصر بتلك الفترة لم يكن من القوة بحيث يمكنه الصمود أمام جيوش أمام جيوش الشام. خاصة أن معظم أهل خصر وقتئذ لم يكن

يعنيهم هذا الصراع في شئ حيث إنهم كانوا على ملتهم ولم يكونوا قد دخلوا الإسلام بعد..

زينب بنت علي:

دخلت السيدة زينب مصر في أول شعبان عام ٦١ ه بعد مضي حوالي نصف عام على مذبحة كربلاء التي شهدت فيها مصرع شقيقها الإمام الحسين وبقية أفراد بيت النبوة وأنصارهم بسيوف مجرمي بني أمية وزنادقة العرب.. (١٢)

وبقيت في مصر موضع إجلال المصريين وتقديرهم حتى توفيت في العام التالي أي في عام ٦٢ ه. ودفنت في موضع إقامتها في دار الوالي.. (١٣)

وكان المصريون يفدون إليها يلتمسون البركة والدعاء وسماع أحاديث جدها الرسول (ص) وكانت كثيرة العبادة وافرة العلم زاهدة فصيحة اللسان..

وقيل إن فاطمة بنت الحسين كانت بصحبتها حين قدومها لمصر. وقد توفيت فيها ومرقدها معروف باسم مرقد فاطمة النبوية في مسجد يحمل اسمها. وكانت بصحبتها أيضا السيدة سكينة..

وفي أسد الغابة: زينب بنت علي أدركت النبي وولدت في حياته. وكانت زينب امرأة عاقلة لبيبة جزلة زوجها أبوها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فولدت له عليا وعونا الأكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم. وكانت مع أخيها الحسين لما قتل وحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد. وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي من يزيد مشهور مذكور في التواريخ وهو يدل على عقل وقوة وجنان.. (١٤)

نفيسة بنت الحسن:
لم تكشف لنا كتب التاريخ الدوافع التي أدت بقدوم السيدة نفيسة مع زوجها إلى مصر. هل هي دوافع سياسية ناتجة من الضغوظ التي كان يواجهها آل البيت من قبل القوى الحاكمة. أم أن هناك دوافع أخرى..؟
ولا تعنينا هنا الإجابة على هذا السؤال. وقد أجمع المؤرخون على أنها وصلت مصر وهذا ما يشهد به العامة والخاصة..
يقول ابن خلكان: السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر. وقيل دخلت مع أبيها الحسن وأن قبره بمصر لكنه غير مشهور.. (١٥)
وكان والد السيدة نفيسة واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور ثم غضب عليه وعزله. ولعل هذا الحدث تكن فيه إشارات تساعدنا على الإجابة على السؤال الذي طرحناه آنفا..
يقول ابن خلكان: وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات. ويروي أن الشافعي لما دخل مصر سمع عليها الحديث.. وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير وهو إلى الآن باق كما كان.. وحين توفي الشافعي أحضر جثمانه أمامها لتصلي عليه. فصلت عليه من وراء حجاب في موضع مشهدها اليوم.. ولما توفت عزم زوجها إسحاق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك فسأله المصريون بقاءها عندهم. فدفنت في الموضع المعروف.. وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب.. (١٦)
ويقول المقريزي: نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. زوجها إسحاق بن جعفر الصادق وكان يلقب بإسحاق المؤتمن وهو من أهل الصلاح والخير والفضل والدين وروى عنه الحديث..
وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه. ويقال إنها حجت ثلاثين حجة. وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار. وكانت

حفظ القرآن وتفسيره. توفيت عام ٢٠٨ ه. ودفنت في منزلها الذي هو قبرها الآن. وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة. فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم الحل البركة.. (١٧)

ويروى أن السيدة نفسية هي التي كانت تحفر قبرها بنفسها وقد توفيت في اليوم الذي أتمت فيه حفر هذا القبر. كما يروي وقوع كثير من الكرامات على يديها..

القاضي النعماني:

هو النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الأئمة الفضلاء والمشار إليهم. ويعد من أعلام القضاة..

قال المسبحي في تاريخه: كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه. وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره..

وكان مالكي المذهب وانتقل إلى مذهب الإمامية. وصنف كتاب (ابتداء الدعوة للعبيديين) وكتاب (الأخبار) في الفقه. وكتاب (الاقصار) في الفقه أيضا..

قال ابن زولاق: وكان أبو النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه. وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف.. وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع. وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا. وله ردود على المخالفين.

له رد على أبي حنيفة والشافعي ومالك وعلي ابن سريح. وكتاب (اختلاف الفقهاء) ينتصر فيه لأهل البيت. وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة.. (١٨)

وكان النعماني لصيق المعز لدين الله وجاء معه من إفريقية إلى مصر وتقلد القضاء في زمن العزير الخليفة الثاني من خلفاء الفاطميين بمصر..

قال ابن زولاق: ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان. ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق. ووافق ذلك استحقاقا لما فيه

من العلم والصيانة والتحفظ وإقامة الحق والهيبة.. وكان جيد المعرفة بالأحكام. متفننا في علوم كثيرة. حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس وله شعر. وقد ارتفعت رتبة القاضي النعماني عند العزيز.. (١٩)
ولما توفي العزيز غسله القاضي النعماني وصلى عليه. وتوفي النعماني في عام ٣٨٩ ه في زمن الحاكم بأمر الله الذي صلى عليه.. (٢٠)
وعند ذكر النعماني في المراجع التاريخية يحرص المؤرخون على اختصار اسمه فيسمونه (القاضي النعماني) تمييزا له عن أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب..
ويطلق عليه مؤلفو الشيعة وبعض مؤرخي السنة (أبو حنيفة الشيعي) وله ترجمة في دائرة المعارف الإسلامية مادة نعمان.
المسبحي المؤرخ:
هو الأمير المختار المعروف بالمسيحي المؤرخ والأديب كانت فيه فضائل ولديه معارف ورزق حظوة في التصانيف. وكان على زي الأجناد. واتصل بخدمة الحاكم وتولى بعض أعمال الصعيد.. (٢١)
له التاريخ الكبير وهو ثلاثين جزاء الذي قال في حقه (التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه. وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء. وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة وذكر نيلها وأحوال من حل بها وأشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والأدباء والمتغزلين وغيرهم) وهو ثلاثة عشر ألف ورقة.. (٢٢)
وله (التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره) وهو ألف ورقة..
و (الراح والارتياح) وهو ألف وخمسمائة ورقة..
و (الغرق والشرق في ذكر من مات غربا وشرقا) وهو مائتا ورقة..

و (الطعام والإدام) ألف ورقة.
و (درك النية وصف الأديان والعبادات) ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة.
و (قصص الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم) ألف وخمسمائة ورقة..
و (المفاتحة والمناكحة في أصناف الجماع) ألف ومائتا ورقة..
و (الأمثلة للدول المقبلة) وهو يتعلق بالنجوم والحساب ويقع في خمسمائة ورقة.
و (القضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم) ثلاثة آلاف ورقة..
و (جونة الماشطة) ويتضمن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع وهو مجموع مختلف غير مؤتلف وبقع في ألف وخمسمائة.
و (الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه) ألفان وخمسمائة.
و (السؤال والجواب) ويقع في ثلاثمائة ورقة..
و (مختار الأغاني ومعانيها) وغير ذلك من الكتب.. (٢٣)
وله شعر حسن.
ومن أبيات له يرثي بها أم ولده:
ألا في سبيل الله قلبي تقطعا * وفادحة لم تبق للعين مدمعا
أصبرا وقد حمل الثرى من * أوده فلله هم ما أشد وأوجعا
يا ليتني للموت قد مت قبلها * وإلا فليت الموت أذهبنا معا
وتوفي المسبحي في عام ٤٢٠ ه.. (٢٤)
بدر الجمالي:
كان بدر أرميني الجنسية وقد اشتراه جمال الدولة بن عمار وتربى عنده وتقدم بسببه. وأصبح من الرجال المعدودين في ذوي الآراء والشهامة وقوة العزم..

ولما اختلت الدولة في عهد المستنصر استدعاه من صور فركب البحر في وقت لم تجر العادة بركوبه في مثله.. (٢٥)
ووصل إلى القاهر عام ٤٦٦ ه فولاه المستنصر تدبير أموره. وقامت بوصوله الحرمة وأصلح الدولة. وكان وزير السيف والقلم وإليه قضاء القضاة والتقدم على الدعاة. وساس الأمور أحسن سياسة.. (٢٦)
وبدر الجمالي هذا هو الذي ينسب إليه حي الجمالية القديم الذي يقع وسط القاهرة القديمة في منطقة بين القصرين والذي لا زال يحمل هذا الاسم حتى اليوم. وهو الذي قام ببناء مشهد رأس الحسين في عسقلان.. (٢٧)
وتوفي الجمالي في عام ٤٨٧ ه وقد تجاوز عمره الثمانين..
الأفضل بن بدر الجمالي:
لما أقعد المرض الوزير بدر الجمالي عمل على تسليم الوزارة لولده الأفضل وذلك في عهد المستنصر. فكان جديرا بها وأهلا لها..
وكان الأفضل كوالده على مذهب الشيعة الإمامية وليس على مذهب الشيعة الإسماعيليين مذهب الدولة ورجال الحكم آنذاك..
وبعد وفاة المستنصر الأفضل بتولية المستعلى مكانه وكان صغيرا. مما أغضب نزار أكبر أولاد المستنصر الذي اعتبر نفسه أحق بالخلافة من أخيه الأصغر. ونشبت حروب بين الأفضل ونزار انتهت بهزيمة نزار والقبض عليه وحبسه حتى الموت عام ٤٨٨ ه.
وللأفضل مواقف جهادية ضد الصليبيين وقد تمكن من انتزع عدة مدن شامية من أيديهم. وكان يدعم بصورة مستمرة مدن الشام المهددة من الصليبيين بالمؤن والذخائر وتسيير الأسطول المصري إليها كما اقتضت الحاجة.. (٢٨)
والأفضل هذا هو الذي قام بإعمار مشهد رأس الحسين في عسقلان بالشام قبل أن يتم إحضاره إلى مصر عام ٥٤٨ ه..

يقول ابن خلكان: وكان الأفضل حسن التدبير فحل الرأي. وهو الذي أقام الآمر بأحكام الله مكان المستعلى بعد وفاته ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات. فإنه كان كثير اللعب. فحمله هذا - أي الآمر - على أن يعمل على قتله. فأوثب عليه جماعة. وكان يسكن بمصر في داره المذكور وتقدم إلى ساحل البحر الليل وهي
اليوم دار الوكالة. فلما ركب من داره المذكور وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه فقتلوه وذلك في سلخ رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة. رحمة الله تعالى.. (٢٩)
ويقول ابن الأثير. وكان الأفضل حسن السيرة عادلا. وكان الإسماعيلية يكرهونه لا سباب منها تضييقه على إمامهم. وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم. ومنها ترك معارضة أهل ألسنة واعتقادهم والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر.. (٣٠)
طلائع بن زريك:
قدم طلائع في أول أمر مع جماعة من الفقراء لزيارة مشهد علي بن في النجف وكان على مذهب الشيعة الإمامة..
وقد التقى في رحلة هذه بأحد وجهاء العراق وهو السيد ابن معصوم إمام مشهد علي بن آنذاك..
وروى أن ابن معصوم رأى في منامه علي بن يقول له ورد عليك أربعين فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن زريك من أكبر محبينا. قل له اذهب فقد وليناك مصر. فلما أصبح أمر أن ينادي من فيكم طلائع بن زريك. فجاء طلائع وسلم. فقص عليه ما رأى. فسار حينئذ إلى مصر وترقى في الخدم حتى وصل إلى ولاية قوص بصعيد مصر في زمن خلافة الظافر الفاطمي.. (٣١)
ولما قتل الظافر وكثرت الفتن وتهدد القصر الفاطمي بعثن له نسوة القصر يستغثن به في الأخذ بثأر الظافر وجعلن في طي الكتب شعور النساء..
فجمع طلائع الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير نصر بن عباس قاتل

الظافر والذي فر من إمامه ليدخل طلائع القاهرة ويتسلم الوزارة ونعت منذ ذلك الحين بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين. واستبد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات الفائز فأقام مكانه العاضد لدين الله وكان صغيرا أيضا مما زاد من تمكن طلائع وتقوية شوكته.. (٣٢)
وقد أثقل طلائع على رجال القصر وضيق عليهم مما أدى في النهاية إلى تدبير مؤامرة لقتله فمات سنة ٥٥٦ ه.. (٣٣)
وكان طلائع كريما شجاعا جوادا فاضلا محبا لأهل الأدب جيد الشعر.. رجل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا. وكان مهابا في شكله عظيما في سطوته محافظة على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع.. (٣٤)
وقد بنى طلائع الجامع الذي خارج باب زويلة وهو يحمل اسمه حتى اليوم وكان يريد أن يدفن فيه رأس الحسين لولا استنثار القصر به.. (٣٥)
ومن تصانيفه كتابا سماه " الاعتماد في الرد على أهل العناد " جمع له الفقهاء وناظر هم عليه وهو يتضمن إمامة علي والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن..
ومن شعره:
يا أمة سلكت ضلالا بينا *
حتى استوى إقرارها وجحودها
ملتم إلى أن المعاصي لم يكن *
إلا بتقدير الإله وجودها
لو صح ذا كان الإله بزعمكم *
منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون إلهنا *
ينهي عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها، الجوهرية في الرد على القدرية..
ولم يترك في مدة حكمه جهاد الصليبيين وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعوث في كل سنة مرارا.. (٣٦)
وأصبح أهل العالم يفدون إليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم. كما كان يحمل في كل عام إلى أهل الحرمين من الأشراف سائر ما يحتاجون إليه من الكسرة وغيرها..
ويعود الفضل في نشر مذهب الشيعة الإمامية بصعيد مصر وفي بقاع أخرى من أنحاء البلاد إلى طلائع بن زريك. وقد أظهر المذهب الإمامي حين وصل إلى الحكم مخالفا بذلك مذهب الدولة الإسماعيلي.. (٣٧)
يقول صاحب النجوم الزاهرة: وساس - طلائع - الأمور ولقب بالملك الصالح وسار في الناس أحسن سيرة. وكان أديبا كاتبا مائلا لمذهب الإمامية وقد تسلم الأمر من بعده ولده فسار على سيرته.. (٣٨)
وكانت هناك حارة تسمى حارة الصالحيين منسوبة إلى الصالح طلائع لأن غلمانه كانوا يسكنونها والمكان المعروف بخوخة صالح ينسب إليه. وموضع هذه الحارة كان بين المشهد الحسيني ورحبة الايدمري وبين البرقية وكانت من الحارات العظمية في مصر وقد خربت فيما بعد على أيدي الأيوبيين الذين سعوا إلى محو كل آثار الشيعة في مصر.. (٣٩)
ويقع قبر الصالح طلائع إلى الجهة الغربية من جامع الأولياء في القرافة الكبرى وهو ملاصق للجامع من الجهة المذكورة. وقد حل محل مسجد الأولياء فيما بعد حوش أبي يعلي..
وقد حزن الناس لوفاته حزنا عظيما لحسن سيرته فقد كان جوادا فاضلا شاكر كثير الصدقات حسن الآثار.. (٤٠)

هوامش: (١) يبدو حب آل البيت وموالاتهم واضحا في الطرق الصوفية التي تعد القطاع
الإسلامي الأكثر بروزا وشعبية في مصر. وعن واقع الشيعة في مصر قبل قيام دولة الفاطميين انظر فصل التاريخ يتكلم. وانظر أيضا فصل صلاح الدين والشيعة..
(٢) أنظر وقعة صفين لابن مزاحم وفي كتب التاريخ مثل الطبري ومروج الذهب..
(٣) أنظر المراجع السابقة..
(٤) أنظر النجوم الزاهرة وخطط المقريزي..
(٥) أنظر المراجع السابقة. ويذكران عهد الإمام للأشتر كتبت فيه عدة مؤلفات لما يحتويه هذا العهد من معالم سياسية وقانونية وإدارية واقتصادية.. انظر كتاب عهد الأشتر. ونظرية الحكم والإدارة في عهد الإمام للأشتر. ط. بيروت
(٦) أنظر خطط المقريزي والنجوم الزاهرة وبدائع الزهور. وكان مما قاله الإمام فيه حين أتاه خبره: رحم الله مالكا. لقد كان لي كما كنت لرسول الله (ص)..
(٧) أنظر كتب التاريخ..
(٨) روى عن الرسول (ص) ما معناه: (أن أبا ذر سيموت وحيدا وستتولى دفنه عصبة من المؤمنين..) وكانت امرأته إلى جواره حين توفي لم تدري ما تفعل حتى ظهر مالك وعصبته..
(٩) أنظر النجوم الزاهرة وخطط المقريزي. وروي ابن تغري بردي: أن ابن العاص لما حاصر مصر وفيها ابن أبي بكر أرسل إليه يقول: أما بعد فنح عني بدمك فإني لا أحب أن يصيبك مني قلامة ظفر. والناس بهذه البلاد

قد اجتمعوا على خلافك فاخرج إني لك من الناصحين.. إنا لا نعلم أحدا كان على عثمان أشد منك فسعيت عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين..

(١٠) أنظر حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة..

(١١) أنظر النجوم الزاهرة..

(١٢) أنظر آل البيت في مصر. ومراقد أهل البيت في القاهرة..

(١٣) أنظر المراجع السابقة..

(١٤) ج ٧ ص ١٣٢.. وقد ذكرت الدكتورة سعادة ماهر في كتابها مساجد مصر وأولياؤها الصالحون أن الكثير الغابة من المراجع العربية تقول بوصولها إلى مصر.

(١٥) وفيات الأعيان ج ٥ / ٥٦. رقم الترجمة ٧٣٨..

(١٦) المراجع السابق..

(١٧) خطط المقريزي ج ٣ وانظر آل البيت في مصر. ومراقد أهل البيت في القاهرة.

(١٨) أخبار قضاة مصر. وانظر وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٨. رقم الترجمة ٧٣٧.

(١٩) المراجع السابقة..

(٢٠) المراجع السابقة.. وللقاضي النعماني كتاب مطبوع في مصر تحت عنوان: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام. من طبع دار المعارف. وهو يعرض دعائم الإسلام السبعة عند الشيعة الفاطمية وهي الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد. وهو الكتاب المعتقد عند طائفة البهرة.

(٢١) وفيات الأعيان ج ٣. رقم الترجمة ٥١٦..

(٢٢) المراجع السابق..
(٢٣) المراجع السابق..
(٢٤) المراجع السابق.. ويذكران جميع مؤلفات المسبحي فقدت ولم يبق منها سوى الجزء الخاص بتأريخ عامي ٤١٤ - ٤١٥ ه من تاريخه الكبير المسمى (أخبار مصر). والذي تم طبعة في مصر عام ٨٠ تحت عنوان أخبار مصر في سنتين من إصدار الهيئة العامة للكتاب..
(٢٥) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٠ / ١٦١. رقم الترجمة ٢٧٠..
(٢٦) المراجع السابق.. وانظر المقريزي والنجوم الزاهرة..
(٢٧) المراجع السابقة..
(٢٨) أنظر خطط المقريزي ج ٢ ص ١٦١ / ١٦٢..
(٢٩) وفيات الأعيان ج ٢ / ١٦٠: ١٦١ رقم الترجمة ٢٧٠..
(٣٠) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٠٣. ويذكر هنا أن هناك مؤشرات كثير تدل على الصراع بين الإماميين والإسماعيليين. حيث كان الإماميين على الأغلب هم الوزراء بينما الإسماعيليون هم الخلفاء. ويقال إن الحاكم بأمر الله مال إلى الإمامية في أواخر عهده وكان ذلك منا أسباب مصرعه. فقد بدأ المذهب الإمامي في البروز على ما يبدو في عهده ثم ظهر بعد ذلك في عهد المستنصر على يد بدر الجمالي وولده الأفضل. وفي عهد الفائز على يد الصالح طلائح. ويروي المقريزي في خططه: أنه بعد مقتل الآمر بأحكام الله - الخليفة السابع - ثار أبو علي أحمد الملقب كتبغان عام ٥٢٤ ه وسجن الحافظ لدين الله وأعلن مذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر وضرب دراهم نقشها (الله الصمد.. الإمام محمد) ورتب في عام ٥٢٥ ه أربعة قضاة اثنان من الشيعة واحد إمامي والثاني إسماعيلي. واثنان من السنة أحدهما مالكيا والآخر شافعيا. وحكم كل منهم بمذهبه. فلما قتل كتبغان عام ٥٢٦ ه عاد الأمر إلى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية..

قتل طلائع أيضا على يد الإسماعيلية. انظر النجوم الزاهرة..
(٣١) أنظر خطط المقريزي ج ٣ ص ١٩٢: ١٩٤..
(٣٢) أنظر تفاصيل هذا الحديث في المرجع السابق وفي النجوم الزاهرة..
(٣٣) أنظر المراجع السابقة. وإنما ثقل عليهم طلائع لأنه كان على غير مذهبهم وكان شديد الحزم معهم..
(٣٤) أنظر المراجع السابقة ووفيات الأعيان ج ٢ / ٢٠٨. رقم الترجمة ٢٨٨..
(٣٥) المراجع السابقة..
(٣٦) ليذكر ذلك الذين يتهمون الفاطميين بالتحالف مع الصليبيين.. انظر المراجع السابقة..
(٣٧) المراجع السابقة..
(٣٨) ج ٥ ص ٣١١.. وانظر وفيات الأعيان ج ٢ ترجمة رقم ٢٨٨..
(٣٩) أنظر المراجع السابقة. وفصل صلاح الدين..
(٤٠) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١١..

في مصر مئات الأضرحة والمشاهد المنتشرة في المدن والقرى
الكثرة الغالبة منها لأناس يمثلون رموز الصوفية وبعضهم
علماء اشتهروا في زمانهم أو لهم كرامات تعمق من مكانتهم
الروحية في قلوب الناس. وذلك مثل ضريح السية زينب والحسين والسيدة نفيسة
والرفاعي والشافعي بالقاهرة. وضريح السيد البدوي بطنطار والمرسي بالإسكندرية
والدسوقي بكفر الشيخ والقناوي بقنا.
وهناك أضرحة ومشاهد خاصة برموز الطرق الصوفية الكبرى مثل ضريح
سلامة الرضي والشاذلي وأبي العزائم وصالح الجعفري وغيرهم.
ويكتظ جنوب مصر (الصعيد) بعشرات الأضرحة حتى أنه يصعب أن توجد
قرية من قرى الصعيد لا يوجد بها ضريح أو فقيه أو على حد تعبير العامة
(ولي).
وفي أسوان يوجد أكثر من عشرة أضرحة ينتسب أصحابها لآل البيت ترفرف
من فوقها الأعلام الحمراء والخضراء..

يوجد في أسوان ثلاثة مشاهد للسيدة زينب إلى جانب مقامات أخرى كثيرة منتشرة بصعيد مصر. وسر ذلك يعود إلى الأحلام التي تظهر فيها إشارات للعارفين بوجوب إقامة ضريح للسيدة في مكان محدد..

ولقد شكلت هذه المشاهد ولا زالت تشكل استعزاز كبيرا للخط الوهابي المهيمن على التيارات الإسلامية خاصة تلك المشاهد الشهيرة التي يقبل الجميع على زيارتها.

وسوف نعرض هنا للمشاهد التي ترتبط بالشيعة ويرتبط الشيعة بها ارتباطا خاصا وإن كان يشاركها هذا الارتباط الشارع المصري.

مشهد مالك الأشتر:

قال ابن الكلبي عن أبيه: لما سار الأشتر إلى مصر أخذ في طريق الحجاز فقدم المدينة فجاءه مولى لعثمان يقال له نافع وأظهر له الود.. فلم يزل معه إلى عين شمس. (أعني المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المطرية) فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا وسقاء نافع العسل فمات.. (١)

وهذه الرواية هي أقرب الروايات إلى الواقع وتؤكد صحة موضع قبره بمنطقة القلج الآن بالقرب من بلدة الخانكة وهذه المنطقة واقعة ضمن حدود مدينة عين شمس القديمة..

وأكثر زوار مرقد مالك الأشتر من العرب والأجانب فشهرته محدودة وسط المصريين ولذلك يلقبونه بالشيخ العجمي..

وقد تم تجديد مرقده مؤخرا على أيدي طائفة البهرة الإسماعيليين ودفن إلى جواره شقيق شيخ البهرة..

ويقع مرقده وسط بستان تحيط به مناطق زراعية بدأ الزحف السكاني يطغي عليها في الفقرة الأخيرة..

مشهد محمد بن أبي بكر:

قال صاحب النجوم الزاهرة: أعدم محمد بن أبي بكر حرقا في جيفة حمار ميت بعد أن وقع في أسر جند معاوية عام ٣٧ ه.. وقيل إنه قطعت رأسه وأرسلت

إلى معاوية بدمشق وطيف به وهو أول رأس طيف به في الإسلام.. (٢)
ويقع مرقده في بلدة ميت دمسيس التابعة للمنصورة. وهناك قبر ناحية الفسطاط يقال له محمد الصغير والعامة يعتقدون أنه محمد بن أبي بكر.. إلا أن الراجح أن مرقده ناحية المنصورة..

المشهد الزينبي:

وهو في مرقدها المعروف بحي السيدة زينب بالقاهرة نسبة إليها. ويقام لها مولد ضخم في شهر رجب من كل عام..

وقد قام أحمد بن طولون بعمارة وترميم مرقدها. ولما جاء المعز لدين الله إلى مصر بنى لها مشهدا عظيما في عام ٣٦٩ ه. ثم جاء الحاكم بأمر الله من بعده فأوقف عليه عدة ضياع وقيساريات (أسواق ومحلات)..

وفي العصر العثماني عمر المشهد مرة أخرى وجعل له مسجدا في عام ٩٥٦ ه. وجدده عبد الرحمن كتخدا وأنشأ به ساقية وحوضها للطهارة والوضوء عام ١١٧٤ ه.

أما المسجد الحالي فقد الجزء الأول منه في عهد الخديوي توفيق. والجزء الثاني في عهد الملك فاروق. والثالث في عهد عبد الناصر.. (٣)

المشهد النفيسي:

وهو مرقد السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. زوجها إسحاق بن جعفر الصادق وكان يلقب بإسحاق المؤتمن من أهل الصلاح والتقوى والخير والدين وروى عنه الحديث..

وكانت السيدة نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه. ويقال إنها حجت ثلاثين حجة..

وكانت كثيرة البكاء قديم قيام الليل وصيام النهار وتحفظ القرآن وتفسيره وقد توفيت عام ٢٠٨ ه..

ودفنت السيدة نفيسة في منزلها الذي هو قبرها الآن وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها في المدينة مع أجدادها. فسأله أهل مصر أن يتركها لتدفن عندهم من أجل التبرك بها.. (٤)

ومزارها اليوم من أشهر مزارات أهل البيت في مصر ويقام لها مولد كبير..

وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو الذي أمر بإنشاء مشهدها الحالي عام ٧١٤ ه..

مشهد رأس زيد بن علي:

ويقال له زين العابدين في مصر وقد سرقه أهل مصر ودفنوه في موضعه الحالي وقدم به إلى مصر عام ٨٢٢ ه أبو الحكم بن الأبيض القيسي في جمادى الآخرة.. وقد خطب في الناس برأس زيد واجتمع الناس إليه في المسجد..

وذكر الكندي أن الأفضل أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد بن علي أمر بكشف المسجد وكان بوسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب. فوجد هذا العضو الشريف.. (٥)

قال المقريزي: وهو مشهد صحيح لأنه طيف بها في مصر.. (٦)

وهناك أيضا مشهد كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق وكانت من الزاهدات العابدات ومدفنها يقع بمقابر قريش بجوار مسجد الشافعي بمصر..

وهناك الكثير من مراقد الطالبيين بالقرب من مشهد السيدة نفيسة من أشهرها مرقد السيدة رقية ابنة الإمام علي الرضا وينسبها العامة إلى الإمام علي وبجوار مرقدها عدة مراقد للطالبيين..

وبالقرب من مرقد السيدة رقية هناك مشهد مشهور هو مشهد السيدة سكينة بنت الحسين ويحتفل المسلمون بمولدها كل عام..

وهناك أيضا مرقد مشهور لواحدة من بنات الإمام الصادق وتدعى عائشة وتسمى المنطقة التي يقع فيها المرقد بحي السيدة عائشة ويقام لها مولد كبير كل عام.. (٧)

رأس الحسين:
كثرت غارات الصليبيين على الشام في أواخر العصر الفاطمي مما دفع بالفاطميين إلى الدخول في مواجهات عسكرية معهم وإجلائهم عن القدس وعسقلان في عام ٤٩١ ه على يد الأفضل بن أمير الجيوش..
والأفضل هذا هو الذي حمل رأس الحسين وكان مدفونا في عسقلان فأخرجه وعطره وحمله في سفط إلى أجل دار بها وعمر المشهد. فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن أحله في مقره.. (٨)
وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الأفضل.. (٩)
إلا أن الفاطميين خشوا على الرأس من الصليبيين فقرروا حمله إلى القاهرة من عسقلان. وقد وصل الرأس إلى مصر في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضي المؤتمن ابن مسكين شارفها. وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور.. (١٠)
ويذكر أن الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسلك. فقدم به الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمة وأنزال به إلى الكافوري. ثم حمل في السرداب إلى القصر الزمرد. ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة. فكان من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر. وكانوا يتحرون يوم عاشورا عند القبر الإبل والقبر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم.. (١١)
وذكر أن أبا صالح طلائع بنى مسجده خارج بابا زويلة ليدفن به الرأس ويفور بهذه الفخار. فغلبه أهل القصر على ذلك. وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا. فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له. ونقلوا الرخام إليه. وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة.. (١٢)

ولقد كان وجود رأس الحسين بمصر من العوامل الفاعلة التي ربطت المصريين بالتشيع وبأهل البيت. وكان أيضا من عوامل صمودهم في وجه الحملات المضادة المعادية التي قادها بني أيوب لدفعهم نحو الكفر بالشيعة وموالاة خصوم آل البيت. وإن كانت هذه الحملات قد نجحت إلى حد كبير في نقل المصريين من الشيعة إلى السنة بالحديد والنار وبوسائل أخرى إلا أنها لم تنجح في انتزاع حب آل البيت من قلوبهم. ذلك الحب الذي يجعل من تسننهم تسننا هشا قابلا للسقوط.

هوامش: (١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٠٤: ١٠٥..
(٢) المراجع السابق..
(٣) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون د / سعاد ماهر..
(٤) أنشأ المشهد الحالي بأمر الناصر محمد بن قلاوون. وكان أول احتفال بمولدها أقيم في عام ٨٨٩ ه في عهد قايتباى. ويذكر أن المصريين يرتبطون بالسيدة نفيسة ارتباط خاصا ويكثر الزحام حول مرقدها يومي الأحد والخميس حين تقام حفلات الزواج هذاك
(٥) الخطط ج ١ نقلا عن الكندي. والمسجد المذكور هنا هو مسجد الفطاط أو المسجد العتيق وكان ذلك حين طائف الأمويين برأس زيد في الأمصار وجاءوا إلى مصر فسرقه الناس ودفنوه في الموضع الذي استخرجه منه الأفضل
(٦) المراجع السابق..
(٧) لا يعترف الشيعة بعائشة هذه ويشككون فيها. إذا لا يوجد في أبناء آل البيت من يستخدم اسم عائشة.. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ / ١٤٢: ١٦٢..
(٨) خطط المقريزي ج ٢ / ص ١٦١: ١٦٢..
(٩) المرجع السابق..
(١٠) المرجع السابق..
(١١) المرجع السابق..
(١٢) المرجع السابق..

رحلات شيعية
الشيعة لا ينسون مصر.. ومصر لا تنساهم..

كانت مصر على الدوام محط أنظار الشيعة في العالم لما تمثله في أعينهم من مكانة ورصيد وتأثير على الساحة الإسلامية.
ونظرا لعمق التاريخ الشيعي في مصر فقد شكل هذا جاذبية كبيرة لكثير من رموز الشيعة ودعاتها.
وعلى مر التاريخ كانت هناك هجرات ورحلات شيعية لا تنطع عن مصر خاصة في فترات الاضطهاد وطوال العمر الأموي والعباسي.. وقد انقطعت هذه الهجرات والرحلات بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر على أيدي الأيوبيين. ثم استؤنفت بعد ذلك في المصر الحديث وبرزت على الساحة المصرية عدة شخصيات شيعة كان لها أثرها الفكري والسياسي المستمر حتى اليوم..
ومن أشهر الشخصيات الشيعية الفوائد على مصر والتي لعبت دورا بارزا في ساحتها وتركت بصمتها على تاريخها الحديث. شخصية السيد جمال الدين الأفغاني..
كذلك من أشهر الرحلات الشيعية رحلة آية الله الشيخ كاشف الغطاء لمصر في منتصف الستينات بصحبة وفد من علماء الشيعة العراقيين و بدعوة رسمية..
وهناك أيضا رحلة السيد عبد الحسين شرف الدين من لبنان و الحوار الذي دار بينه وبين شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري في أوائل هذا القرن..

كذلك هنا رحلة نواب صفوي زعيم منظمة فدائيان إسلام المناهضة لنظام الشاه وكانت في منتصف الخمسينات..
ورحلة الشيخ محمد جواد مغنية رئيس القضاء الجعفري في لبنان والسيد مرتضى الرضوي في فترة السبعينات..
وبالإضافة إلى هذا هناك رحلات الشيخ القمي المتكررة ضمن النشاط الذي كان يقوم به من أجل التقريب بين السنة والشيعة.. *
وعلى الجانب الآخر هناك رحلات سنية قام بها عدد من رجال الأزهر والمفكرين والسياسيين إلى النجف في العراق و هي مركز العلم والعلماء في فترة الستينات. وإلى قم بإيران في نفس الفترة. ومن هؤلاء الشيخ الفحام شيخ الأزهر والشيخ الشرياصي والشيخ الحصري وأحمد أمين الذي زار النجف مع وفد مصري بين مدرس وتلميذ عام ١٣٤٩ ه.. *
وهناك رحلتان قام بهما الكاتب السياسي محمد حسنين هيكل إلى إيران. الأولى في عام ٥١ والتقي فيها بآية الله الكاشاني. والثانية بعد الثورة والتقى فيها بالإمام

---

* عوتب أحمد أمين من قبل علماء الشيعة على ما ذكره عن الشيعة في كتابه فجر الإسلام وقد اعتذر بعدم الاطلاع وقلة المصادر. ويذكر أن الشيخ كاشف الغطاء قد انتقده ورد عليه في كتاب أصل الشيعة وأصولها.. وقد هاجم الشيعة أيضا مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن) الصادر في الثلاثينات. كما هاجمها المسائح المصري محمد ثابت الذي كان قد قام بجولة في إيران والعراق واطلع على أحوال الشيعة هناك وأصدر كتابا حول هذه الرحلة أسماء (جولة في ربوع الشرق الأدنى) عام ١٩٣٦ وقد رد على الثلاثة السيد محسن الأمين في موسوعته أعيان الشيعة ج ١ ق ١. *
* كانت هناك رحلة للسيد موسى الصدر " الإمام المختفي " رئيس المجلس الشيعي الأعلى بلبنان ومؤسس حركة " أمل " وقد التقى فيها بعدد من علماء الأزهر والمسؤولين وزار مراقد آل البيت في مصر.. ولم أتمكن من العثور على وثائق هذه الرحلة مع الأسف..

الخميني. وقد ألف في رحلته الأولى كتاب إيران فوق بركان. وألف الثانية مدافع آيات الله. وكلا الكتابين طبع في مصر..

رحلة السيد حمال الدين الأفغاني:

ينتمي السيد جمال الدين الأفغاني إلى الحسن بن علي وموطنه أفغانستان. وكانت أسرته من أصحاب السلطة والنفوذ فيها.

وقد قام الأفغاني بجولة سياحية طويلة في بلدان العالم الإسلامي واكتسب الكثير من التجارب والخبرة التي أتاحت له فرصة البروز والتأثير في بقاع كثيرة. كما درس عدة لغات بالإضافة إلى لغته وهي العربية والفارسية والفرنسية. ودرس الفلسفة والتصوف والعلوم الإسلامية الأخرى..

وكان الأفغاني قد انغمس في صراع داخلي بموطنه أفغانستان كانت نتيجته الخروج من أفغانستان طلبا للأمن..

ومع كثيرة البلاد التي طاف بها الأفغاني يمكن القول أنه لم يحدث أثرا في أي من هذه البلاد كما أحدث في مصر التي أقام بها قرابة ثماني سنوات بدأت في مارس ١٨٧١ وامتدت حتى أغسطس ١٨٧٩..

والأفغاني كان مثالا للمجاهدين المتجردين الذين عاشوا لأفكارهم ومبادئهم وكانت مصر عند وصوله في أسوأ أحوالها اقتصاديا وسياسيا..

وقد بدأ الأفغاني نشاطه الفكري الذي تمثل في القاء المحاضرات والدروس العلمية تلك المحاضرات والدروس التي كسرت حالة الجمود الفكري السائدة في مصر آنذاك. وكان من تلامذته محمد عبده وسعد زغلول والشيخ إبراهيم اللقاني ومحمود سامي البارودي..

وهو يبين من خلال هذه المحاضرات والدروس للناس سوء حالهم ومواضع بؤسهم ويبصرهم بما كان سبب فقرهم. ويحرضهم أن يخرجوا من الظلمات إلى النور. وألا يخشوا بأس الحالم فليست قوته إلا بهم. ولا غناه إلا منهم. وأن يحلوا في طلب حقوقهم المغصوبة وسعادتهم المسلوبة..

وتركز جهد الأفغاني في العمل على بعث الوعي في نفوس المصريين ودفعهم نحو التغيير بالوسائل التالية:
- أسس جماعة تجمع بين الشيوخ والشباب هدفها تبني حرفة الكتابة وإنشاء الصحف..
- الخطابة وكان له أسلوب جذاب تأثيره بالغ على المستمعين..
- الصحف وقد أسس مجلة ساخرة تحت اسم (أبو نظارة) كانت موجهة للخديوي إسماعيل.. وبدأت الحكومة تشعر بنشاط الأفغاني وما يمثله من خطورة على سياستها واستقرارها وقرر مجلس الوزراء في عهد توفيق نفي الأفغاني لينتهي دوره في مصر ولكن رسالته لا زالت باقية..

وليس هناك من خلاف بين المؤرخين والباحثين في حياة الأفغاني حول نسبه الذي يمتد في شجرة آل البيت إلى الإمام الحسن بن علي. كما أنه ليس هناك خلاف حول ارتباطه بمذهب الشيعة الإمامية وإن كانت الأطروحة الشيعية لم تكن واضحة في كلماته وكتاباته. ويكفي أنه كان يعبر من خلال نشاطه ودعوته عن الإسلام النضالي الذي يواجه الظلم والاستعباد والفساد.. (١)

رحلة السيد عبد الحسين شرف الدين:

هو واحد من أعلام الشيعة ورموزها العلمية البارزة ولد عام ١٢٩٠ ه / ١٨٧٢ م وتوفي عام ١٣٧٧ ه / ١٩٥٧ م..

درس في النجف الأشرف وذاع صيته بين أهل العلم في وقته وانتقل بعد ذلك إلى جبل عامل - جنوب لبنان - حيث حمل راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصدى للظلم والاستبداد والطبقية مما أثار عليه كبراء القوم والولاة والمستعمر وقد تآلب كل هؤلاء عليه وحاكوا المؤامرات ضده..

وقد قام السيد بدور فعال في مواجهة الفرنسيين الذين حاولوا اغتياله وضيقوا عليه مما دفع به إلى الفرار إلى دمشق بعائلته وقد احتلت قوات الفرنسيين داره وأحرقت مكتبته وكان بها الكثير من النفائس والمخطوطات..

ومن دمشق انطلق السيد إلى فلسطين ومنها إلى مصر حيث احتفل بقدومه رجال العلم والأدب ورجال السياسة وكان ذلك عام ١٩١٨ م..
ولم تكن تلك رحلته الأولى إلى مصر فقد زارها قبل ذلك في عام ١٩١٠ في رحلة علمية جمعته بأهل الحديث وقادة الرأي والفقه من علماء مصر..
وفي هذه الرحلة التقى بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ سليم البشري ودارت بينهما حوارات ومناقشات ومراسلات حول الشيعة والسنة كانت من نتائجها كتاب المراجعات الشهير الذي جمع مائة واثنى عشر مراجعة حول شتى المسائل الخلافية بين المذهبين.. (٢)
وقد طبع هذا الكتاب أكثر من خمسين طبعة منها طبعتان بمصر واحدة في فترة السبعينات والأخرى في أواخر الثمانينات.. (٣)
وكانت هناك مراسلات كثيرة حول هذا الكتاب بين السيد عبد الحسين شرف الدين وأقطاب الفكر في مصر منهم الشيخ محمد محمد المدني أحد كبار علماء الأزهر والدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة والأستاذ حسين عبد الغفار بالأمانة العامة لمجلس الأمة والأستاذ محمد فكري أبو النصر والدكتور حفني داود رئيس قسم اللغة العربية كلية الألسن جامعة القاهرة وعين شمس.
رحلة نواب صفوي:
وهو شخصية إيرانية تزعم حركة " فدائيان إسلام " المناوئة لحكم الشاه والتي كانت تدعو لنبذ الطائفية بين المسلمين والعمل على تطبيق الإسلام..
يقول نواب: لنعمل متحدين للإسلام ولننسى كل ما عدا جهادنا في سبيل عز الإسلام ألم يأن للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعة وسنة.. (٤)
وكان نواب صفوي قد زار القاهرة وقوبل بحماس شديد وترحيب حار من قبل الإخوان المسلمين الذين رافقوه لزيارة مراقد آل البيت في مصر.. (٥)

وقد قرر الشاه تصفية نشاط فدائيان إسلام وتم القبض على نواب صفوي وحوكم وصدر ضده حكم بالإعدام اهتز له العالم الإسلامي في تلك الفترة..
يقول الأستاذ فتحي يكن: كان لهذا الحكم الجائر صدى عنيفا في البلاد الإسلامية وقد اهتزت له الجماهير المسلمة التي تقدر بطولة نواب وجهاده وثارت على هذا الحكم وطيرت آلاف البرقيات من أنحاء العالم الإسلامي تستنكر الحكم على المجاهد المؤمن الذي يعتبر القضاء عليه خسارة كبرى في العصر الحديث.. (٦)
ويذكر أن نواب صفوي هاجم حكم عبد الناصر لاعتقاله عناصر الإخوان وقال: حين يضطهد الطغاة رجل الإسلام في كل مكان يتسامى المسلمون فوق الخلافات المذهبية ويشاطرون إخوانهم المضطهدين آلامهم وأحزانهم. ولا شك إننا بكفاحنا الإيجابي الإسلامي نستطيع إحباط خطط الأعداء التي ترمي إلى التفريق بين المسلمين. إنه لا ضير في وجود الفرق المذهبية وليس بوسعنا إلغاؤها إنما الذي يجب أن نعمل على إيقافه ومنعه هو استغلال هذا الوضع لصالح المغرضين.. (٧)
رحلة الشيخ علي كاشف الغطاء:
وبعد واحدا من مراجع النجف الكبار وقد تم دعوته رسميا للمؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة والذي انعقد بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٦٥.
وقد وصل الشيخ كاشف الغطاء إلى القاهرة على رأس وفد من علماء النجف الأشرف في ١١ / ٥ / ٦٥ وكان في استقباله والوفد المرافق ممثل شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون وبعض رجال الأزهر..
وقامت الإذاعة بإجراء حوار مع سماحته أذيع وقتها من البرنامج العالم وكان الحوار يتركز حول القضية الفلسطينية وموقف الوفد العراقي من مؤتمرات البحوث الإسلامية..
ومما قاله في هذه الحوار: كم من حضارة كانت أثرا لجماعة وكم مدنية كانت صنيعة لمؤتمر وأمامكم بيعة الرضوان وهو أول مؤتمر إسلامي نال به العالم

الإنساني الحظ الأوفى والحضارة السامية.. وأنه من الضروري جمع شمل المسلمين واتفاق كلمتهم على صعيد واحد حيث إن في وحدتهم قوة يندحر بها الأعداء وتتلاشى بها الخطط العدوانية..

وحول الموقف من القضية الفلسطينية قال: لقد جاهرنا في قضية فلسطين وأثبتنا رأينا بصورة صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض في أن مشكلتها يلزم حلها على ضوء الدين الإسلامي الحنيف..

والطريف أنه صادف وقت وجود سماحته والوفد المرافق في القاهرة ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء وقد وجه سماحته كلمة من خلال الإذاعة المصرية بمناسبة هذه الذكرى أذيعت من صوت العرب في مساء يوم العاشر من محرم..

والطريف أنه صادف وقت وجود سماحته والوفد المرافق في القاهرة ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء وقد وجه سماحته كلمة من خلال الإذاعة المصرية بمناسبة هذه الذكرى أذيعت من صوت العرب في مساء يوم العاشر من محرم..

وتعتبر هذه الكلمة لمرجع شيعي كبير من خلال الإذاعة المصرية عن ذكرى عاشوراء – تعبير حدثا إعلاميا كبيرا وسابقة دعائية للشيعة في مصر لم تنالها منذ عهد الأيوبيين. وسوف نعرض لنص الكلمة في ملاحق الكتاب..

وقام سماحته والوفد المرافق بزيارة مرقد رأس الحسين وقد لغت نظرهم ما شاهدوه من ظواهر الولاء لآل البيت بأوسع معانيها. كما زار مرقد السيدة زينب والسيدة نفيسة.. وزار بور سعيد وقرأ الفاتحة على أرواح شهداء معركة بور سعيد وتقديرا لموقف شيعة العراق المشرف إلى جانب مصر أثناء العدوان الثلاثي قدم محافظ بور سعيد ميدالية ذهبية لسماحته.. وقد نشرت جريدة الأهرام خبر هذه الرحلة في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ٥ / ٦٥..

وقد نشرت جريدة الأهرام في تلك الفترة طلب سماحة آية الله كاشف الغطاء من المؤتمر في جلسة الثانية وجوب المبادرة باتخاذ قرار عاجل احتجاجا على موقف ألمانيا الاتحادية العدواني الذي تمثل في الاعتراف بإسرائيل وإمدادها بالمال والسلاح لقتال العرب.. (٨)

وبعد انتهاء المؤتمر قام الشيخ والوفد بتلبية الدعوات والمقابلات الصحفية

والقيام بجولات تفقدية في أنحاء الجمهورية.
ومن بين الدعوات التي وجهت للوفد الدعوة المقدمة من شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون لتناول طعام العشاء في فندق سميراميس..
والدعوة المقدمة من الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر آنذاك لتناول العشاء في مبنى جامعة الأزهر..
والدعوة المقدمة من جميعة الشبان المسلمين بتناول طعام العشاء في مقر الجمعية. ومن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ومن نقابة المهن التعليمية..
وبالإضافة إلى هذا وجه الرئيس عبد السلام عارف دعوة للشيخ كاشف الغطاء ومرافقيه لتناول العشاء معه في قصر عابدين.. (٩)
وكان الرئيس جمال عبد الناصر ومعه الرئيس عبد السلام عارف قد استقبلا الشيخ كاشف الغطاء والوفد المرافق له.
ومن بين الجولات التفقدية التي قام بها الوفد في مصر زيارته لمديرية التحرير وزيارة قطاع غزة وخط الهدنة وكان بصحبتهم شيخ الأزهر وأعضاء المؤتمر. ثم زيارة السد العالي في أسوان. ومدن القناة والإسكندرية.. كما زار الوفد بعض المصانع في هذه المدن مثل مصنع شركة الغزل والنسيج ببور سعيد وشركة صناعة إطارات السيارات بالإسكندرية وشركة مصر للغزل والنسيج في كفر الدوار..
ومن بين المقابلات الصحفية التي أجريت مع سماحة الشيخ كاشف الغطاء. اللقاء الذي أجري مع مجلة منبر الإسلام التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. واللقاء الذي أجرته معه مجلة روز اليوسف.. (١٠)
وكان الحوار مع روز اليوسف قد تطرق إلى موضوع زواج المتعة ورؤية الشيعة لهذا النوع من الزواج وهذه هي المرة الأولى ربما التي طرق فيها مثل هذا الموضوع في مصر وعلى صفحات مجلة رسمية..

وقد أثار هذا الموضوع الأستاذة مفيدة عبد الرحمن عضو مجلس الأمة في ذلك الوقت والتي أرسلت ردها على ما نشر تحت عنوان: أنا ضد زواج المتعة.. (١١) ويبدو أن موضوع المتعة أثار العديد من الشباب والشابات أيضا حيث انهالت الرسائل على مجلة روز اليوسف. البعض يعلن عن غضبه. والبعض الآخر يطلب الاستفسار..

وكان الشيخ أحمد الشرباصي قد عارض هذا الزواج وأفتى بحرمته في حديثه للمجلة في تلك الفترة.. كما أبدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن رفضها له وأيدته الدكتورة نوال السعداوي من منظور اجتماعي.. (١٢)

وتعد رحلة آية الله الشيخ كاشف الغطاء إلى مصر من أشهر الرحلات الشيعية.. وذلك للطابع الرسمي الذي أضفى عليها..

رحلة الشيخ محمد جواد مغنية:

هو أحد أعلام الشيعة في لبنان رأس المحكمة الجعفرية العليا فيها وله الكثير من الكتب والمصنفات الإسلامية والتي أصبح بعضها مراجع للإسلاميين في كل مكان..

قدم الشيخ مغنية إلى مصر لأول مرة عام ٦٣ وكانت أول زيارة يقوم بها هي زيارة مرقد رأس الحسين ثم زار مرقد السيدة زينب والمسجد الأزهر وهناك دار حوار طريف بينه وبين إمام المسجد. عندما طلب منه الشيخ أن يعطيه صورة عن الأزهر..؟

قال الإمام: الكعبة واحدة الأزهر واحد..

فقال الشيخ: والله واحد. فأصبح لدينا أقانيم ثلاثة: الله والكعبة والأزهر. كما يقول النصارى.. ثم قال له: أتعرف شيئا عن الشيعة..؟

قال الإمام: هم زائغون..

قال الشيخ ومن أين عرفت أنهم زائغون..؟

قال: هكذا يقال..
فقال الشيخ: وأنا أقول: إنك زائغ. فهل تأخذ بقولي..؟
ففتح كفيه وقال إقرأ الفاتحة. فقرأتها معه. ومضى لسبيله.. (١٣)
وقد زار الشيخ جامعة الأزهر والقاهرة وعين شمس ودار الكتب ثم اجتمع بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ محمود شلتوت ودار بينهما حوار حول الوحدة الإسلامية وفتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية.. (١٤)
وكان الشيخ مغنية قد التقى من قبل بالشيخ محمد أبو زهرة في دمشق عام ٦٠. كما التقى به الدكتور مصطفى محمود في بيروت عام ٧٠.. (١٥)
والجدير بالذكر هنا أن الشيخ مغنية هو أول من رد على محب الدين الخطيب في كتابه الذي أسماء الخطوط العريضة ونشره بمصر وكان من أوائل الكتب التي نشرت فيها ضد الشيعة. وقد وصلته الكثير من رسالات التهديد بسبب رده هذا (١٦)

رحلة السيد مرتضى الرضوي

قام السيد الرضوي برحلتين إلى مصر. الأولى في فترة الخمسينات ما بين عام ٥٧ وعام ٥٨. والثانية في منتصف السبعينات.
وفي كلا الرحلتين قام بدور ملحوظ في ميدان الفكر الإسلامي والوحدة الإسلامية ونشر الكثير من الكتب التي تدافع عن الشيعة. كما التقى بكثير من الرموز الإسلامية والثقافية وأجرى حوارات معها ثم دون هذه اللقاءات والحوارات في كتاب كبير طبع بمصر في منتصف السبعينات باسم: مع رجال الفكر في القاهرة..
ومن بين الرموز الإسلامية والثقافية التي التقى بها في مصر الأستاذ أمين الخولي والشيخ أحمد حسن الباقوري والأستاذ أبو الوفا المراغي والأستاذ خالد محمد خالد. والدكتور شوقي ضيف. والدكتور طه حسين. والدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ والأستاذ عبد الكريم الخطيب. والأستاذ محمد زكي إبراهيم والأستاذ

محمد قطب. والشيخ محمود أبو رية. والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. والأستاذ محمود محمد شاكر. والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي. والشيخ محمد محمود حجازي. والدكتور سليمان دنيا. والدكتور حامد حفني داود. والشيخ محمود شلتوت. والدكتور زكي نجيب محمود. والأستاذ عبد الحميد جودة السحار والشيخ محمد الغزالي..

يقول الرضوي: هؤلاء مجموعة من رجال الفكر المرموقين دارت معهم موضوعات شيقة تترجم آراءهم في قضايا الفكر الإسلامي. كما تدل على نظرتهم إلى هذه القضايا الأساسية في وحدة الكلمة وتراص الصفوف.. (١٧)

ومن بين الكتب التي قام بنشرها السيد الرضوي بمصر تفسير شبر ويقع في مجلد واحد وكتاب علي ومناوئوه. وكتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى. وكتاب المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي وكتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها وهو موسوعة فقيهة كبيرة. وكتاب أصل الشيعة وأصولها. وكتاب الوضوء في الكاتب والسنة والسجود على التربة الحسينية..

وقد حرص السيد الرضوي على استقطاب الرموز الإسلامية والثقافية في مصر. فكان لا يطبع كتابا في مصر إلا ويكون قد كتب مقدمته واحدا من هذه الرموز.. (١٨)

ولم يكن نشاط السيد الرضوي ينحصر في محيط الرموز الإسلامية والثقافية. وإنما تجاوز هذا الحد وأجرى اتصالات مع بعض المسؤولين في محيط الثقافية وبعض الصحفيين..

وكان قد التقي مع مدير دار الكتب في عام ٦٥ وقد إليه طلبا بأن تقوم الدار بإفراد جناح خاص الكتب والمصنفات الشيعة. وسوف تقوم الهيئة العلمية في النجف الأشرف بالعراق بإهداء الدار جميع هذه الكتب وتم تفويض السيد الرضوي لتنفيذ هذا الأمر..

ويذكر أنه قد نشر في جريدة " المساء " في تلك الفترة خبرا تحت عنوان: قسم بدرا الكتب يضم كتب الشيعة.. (١٩)

هوامش:
(١) أنظر في تاريخ الأفغاني ورحلة إلى مصر. زعماء الإصلاح في العصر الحديث لا حمد أمين وجمال الدين الأفغاني لمحمود أبو رية. ودائرة المعارف الإسلامية.
(٢) أنظر مقدمة المراجعات. والشيخ سليم البشري توفي ١٩١٦. ويذكران هناك مراجعات دارات بين الشيخ محمد علي كاشف الغطاء وبين شيخ الأزهر الشيخ المراغي حول تفسير سورة الحجرات والذي كان قد نشر في مجلة الأزهر عام ١٣٥٩ ه. وأبدى عليه الشيخ كاشف الغطاء بعض الملاحظات ودارت المرسلات بينهما هذه السورة..
(٣) قدم الدكتور حامد حنفي داود للطبعة المصرية الأولى. ويذكران التيار السلفي أصدر ردا على كتاب المراجعات وهو يقوم بتحريض المسلمين عليه. وقد وضع الأزهر مؤخرا كتاب المراجعات في قائمة الكتب الممنوع تداولها في مصر كما منع الأزهر من قبل كتاب " أضواء على السنة المحمدية " للشيخ محمود أبو رية وهو من علماء الأزهر ومن طبع دار المعارف الحكومية وقد طبع من قبل عدة طبعات في مصر وبيروت. كما صودر للمؤلف من قبل كتاب " أبو هريرة شيخ المضيرة " في فترة الستينات. نظرا لكون توجيه أي نقد لكتب السنن والأحاديث والصحابة يخدم الشيعة ويعضد رؤيتها، فقد اتهم أبو رية بالتشيع وموالاتهم الشيعة كما اتهم من قبله طه حسين حين تعرض لفتنة عثمان في كتاب " الفتنة الكبري ". ويذكران الأزهر صادر لنا مؤخر كتاب " آل البيت " لنفس السبب..
(٤) كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث..
(٥) كانت هذه الزيارة في يناير عام ٥٤..
(٦) الموسوعة الحركية ج ١..
(٧) مجلة المسلمون الصادرة عن الإخوان عدد ٤ / عام ٥٦..

(٨) الأهرام عدد ١٧ / ٥ / ٦٥. وفي عدد ١٨ / ٥ ذكرت الجريدة كلمة الشيخ كاشف الغطاء حول إباحة التأمين واعتباره من قبيل الشركة وأرباحه من نوع الصلح المباح..

(٩) كان الرئيس عارف في زيارة لمصر وقتها. ويذكر أن عارف توسط لعبد الناصر بطلب من الشهيد باقر الصدر في العراق من أجل الإفراج عن سيد قطب..

(١٠) عدد روز اليوسف رقم ١٩٣٠ / ٦٥ وأجرى الحوار عبد الله إمام. وسوف نعرض نصه في ملاحق الكتاب نظر لأهمية الموضوعات التي طرحت في دائرته..

(١١) عدد روز اليوسف ١٩٣١ / ٦٥. ونص الرد: قلقت جدا وأنا أقرأ حديث شيخ المذهب الشيعي العراقي عن زواج المتعة.. فظاهر الفكرة قد يبدو مغريا لبعض الناس في بادنا خصوصا وأنه نظام منسوب للشريعة الإسلامية.

وصحيح أن الإسلام قد عرف زواج المتعة في عهد الرسول ولكنه عرفه كضرورة أوجدتها ظروف الحرب وانتهي بانتهائها. فلقد كان مقصودا به حماية المسلم من الفتنة وهو في بلاد الغربة ولذلك فهو يتجاوز عن العقد المكتوب والشهود.. والسؤال بعد ذلك هو: ما الذي يدعو إلى زواج مؤقت ما دام الزواج الدائم متيسرا للناس.. إن الحالة الوحيدة التي تبرر هذا الزواج هي تغريب شبابنا في بلاد أجنبية لطلب العلم حماية أخلاقهم..

(١٢) قال الشيخ الشرباصي إن إجماع أئمة المسلمين (السنة) على أن زواج المتعة حرام. وقالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن: هذا الزواج المؤقت كان زواج ضرورة انتهى عندما زالت الضرورة. فما هي الضرورة التي تدفعنا الآن للتفكير في استعادته..؟ وقالت الدكتورة نوال السعداوي: من هذا الشكل الجديد للزواج يمكن أن نقضي على مشاكل الزواج الحالية كالاكراه والكراهية والكذب والخيانة وتشرد الأطفال والضعف والخنوع والانحلال الخلقي ويمكن أن نوفر للانسان في ظل الزواج حرية ومقدرة على الاختيار

الدائم وفرصة للتجديد والتطور وبالتالي للتقدم. ويمكن أن نحقق للإنسان الرغبتين المتناقضتين فيه وهما: الرغبة في الاستقرار الاجتماعي. والرغبة في التغيير والتجديد.. انظر روز اليوسف العدد رقم ١٩٣٢ / / ٦٥. تحقيق تحت عنوان: بدلا من الحرام. زواج المتعة ويذكر أن المفكر العلماني الراحل فرج فوده كان من مؤيدي زواج المتعة وقد أعد كتابا حول هذا الموضوع..

(١٣) تجارب مغنية. ط. بيروت.

(١٤) المرجع السابق..

(١٥) المرجع السابق..

(١٦) المرجع السابق.. ويذكر أن الشيخ مغنية التقي مع الشيخ الفحام شيخ الأزهر الراحل والشيخ الشرباصي والمقرئ الشيخ الحصري في مدينة قم بإيران.

(١٧) مع رجال الفكر في القاهرة. وهو كما يقول المؤلف حوار صريح في مختلف الشؤون الإسلامية يتبنى فكرتها إبطال هذا الكتاب بروح موضوعية تستهدف العمق والصراحة والتقريب..

(١٨) قدم الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب وسائل الشيعة. وقدم الدكتور سليمان دنيا لكتاب الشيعة وفنون الإسلام. والشيخ أحمد حسن الباقوري لكتاب المختصر الدافع.

(١٩) نشر الخبر في عدد تاريخ ٨ / ٩ / ١٩٦٥. ونص على ما يلي: رؤى إنشاء قسم خاص في دار الكتب المصرية العربية بالقاهرة للكتب الدينية للمذهب الإمامي الشيعي باعتباره أحد المذاهب الإسلامية والمقدر عدد أتباعه بأكثر من مائة مليون مسلم.

الغارة على الشيعة
بدأت مع الحرب وانتهت بنهايتها..

لم تكن قضية الشيعة تشغل الساحة الإسلامية كثيرا في مصر.
ولم تكن الشيعة مطروحة كمذهب منافس لمذهب السنة الذي سيطر عليه الخط الوهابي في فترة السبعينات. فقد كان ما يشغل الساحة الإسلامية في تلك الفترة ثلاثة:
١ - الصوفية..
٢ - تيار التكفير..
٣ - الحكومة..
حتى أنه لم يكن أحد في الوسط الإسلامي يسمع بجماعة التقريب أو جمعية آل البيت أو يطلع على أي من الكتب الشيعية التي صدرت بمصر في تلك الفترة وهي كثيرة.. (١)
لقد كانت التيارات الإسلامية منشغلة ببعضها. الإخوان منشغلون بالجهاد والتكفير والسلفيين. والجهاد والسلفيين منشغل بالتكفير. وهذه التيارات جميعا منشغلة بالحكومة. ومنشغلة أيضا عدا الإخوان - بالصوفية.. (٢)
وبالنسبة للإسلام الرسمي لم يكن يظهر أي بادرة عداء تجاه الشيعة وكانت

العلاقات وطيدة بين الأزهر ووزارة الأوقاف وبين هيئات وعلماء شيعة من إيران والعراق ولبنان.
إلا أنه وبمجرد قيام الثورة الإسلامية في إيران تغيرت الأمور وتغير الاتجاه الإسلامي من تأييد الثورة ومناصرتها في البداية إلى الكفر بها ومعاداتها مع قيام الحرب العراقية الإيرانية..
كيف حدث ذلك؟:
إن القوى المتربصة بالإسلام وقد أفجعها ما حدث في إيران ركزت أبصارها على مصر واعتبرتها الدولة التالية المؤهلة للحاق بإيران على طريق الإسلام فمن ثم سعت إلى تنفيذ مخططها الخبيث الذي يرمي إلى عزل مصر عن إيران والقضاء على تأثير الثورة الإسلامية على الحركة الإسلامية فيها. وقد اعتمدت في تنفيذ مخططها هذا على ثلاثة ركائز:
الأولى: استغلال الخط الوهابي الذي تشبعت به الحركة الإسلامية والذي يكن عداءا شديدا للشيعة واستغلال قلة الوعي السياسي والخبرة لدى التيارات العاملة في محيط الحركة..
الثانية: تفجير الخلافات القديمة بين السنة والشيعة ونشر الشائعات التي تهدم عقائد الشيعة وتشكك المسلمين فيها وفي الثورة الإسلامية..
الثالثة: تحريض الحكم على إيران ودفعه إلى دعم التيارات المعادية لها في مصر إعلاميا وسياسيا وفتح الباب إمام المد المسعودي الوهابي ليشكل سدا منيعا يحول بين المسلمين وبين التأثر بالشيعة و إيران.. (٣)
والحق إن هذا المخطط قد تم تنفيذه بدقة ونجح في تحقيق أغراضه في الوقيعة بين الحركة الإسلامية والثورة الإسلامية. ودفع بالحركة إلى الصف المعادي لها.
وأستطيع أن أجزم أن هذا المخطط لم يكن لينجح لو كانت الحركة الإسلامية متسلحة بالوعي السياسي والخبرة اللازمة ومتحررة من الأطر السلفية العمياء التي فرضها عليها الخط الوهابي فهذه هي نقطة الضعف في جسم الحركة التي تمكن

أعداء الإسلام من اختراقها واستغلالها في إضفاء المشروعية على موقفها المعادي للثورة..

لقد طوقت الساحة الإسلامية في مصر بحرب إعلامية عاتية شرسة حيث صبت حمم غضبها على الشيعة وإيران واستخدمت فيها كل الوسائل الاعلامية من مقابل وكتاب وخطب ومؤتمرات وتم شراء الكثير من الكتاب والصحفيين والدعاة والرموز الإسلامية البارزة في الوسط الإسلامي ودور النشر والصحف الإسلامية.

ولم ينج من هذه الفتنة سوى عدد قليل من الدعاة أصحاب البصيرة أما البقية فقد غرقوا في موجات النفي المتتابعة والتي كانت تتدفق على الساحة الإسلامية من السعودية والعراق اللتان كانتا تذكيان نار الفتنة وتأججان نارها.

وكانت سفارة السعودية وسفارة العراق في القاهرة تنفقان بغير حساب من أجل تشوية الشيعة وإيران والإمام الخميني. وكانت الحكومة ترقب هذا الوضع وتعمل على دعمه..

قادة المواجهة:

كان الدور الأجنبي واضح في حملة العداء ضد الشيعة بينما كانت الأدوات المصرية التي تقود المواجهة لها دوافعها الذاتية التي لا تخرج عن دوافع أربعة:

الأول: الدافع العقائدي وهو محرك التيار السلفي الوهابي الذي يواجه الشيعة من خلال موقف عدائي نابع من قناعته بضلالها وانحرافها. ونابع من إيمانه بضرورة جهادها والحيلولة دون انتشار عقائدها (الفاسدة) بين المسلمين.

وهو بهذه الصورة يصبح لديه القابلية للصدام مع الشيعة بصورة تلقائية بوصفها عدوا يشكل خطرا على معتقداته. من هنا وبمجرد إعلان الحرب على الشيعة في مصر تزعم هذا التيار هذه الحرب على الفور وكان له الدور الأكبر في تحريض الاسلاميين عليها ودفعهم إلى الكفر بها..

وهذا التيار بمثل أغلب اتجاهات المكتبات ودور النشر المصرية التي أسهمت في نشر معظم الكتب المعادية للشيعة طوال فترة الثمانينات.. (٤)

الثاني: الدافع المصلحي وهو محرك تيار الإخوان الذي كان من المتعاطفين مع الثورة في بدايتها ثم انقلب على الشيعة وإيران بسبب ضغوط سعودية وبسبب ضغوط من الحكومة المصرية وتيار الإخوان الدولي الذي كان يثير الشبهات حول علاقة إيران بسوريا التي اضطهدت جماعة الإخوان. وحتى لا تسخر الجماعة السعودية وحتى لا تصطدم بالحكومة المصرية أو تصطدم الحكومة بها وحسما للخلافات التي وقعت بين تيارات الإخوان حول الموقف من إيران انحاز تيار الإخوان المصري إلى الجبهة المعادية للشيعة وإيران لصالح الجماعة ومن أجل الحافظ على وجودها ومستقبلها.. (٥)

الثالث: الدافع الشخصي وهو محرك الأقلام والكتاب والصحفيين من شتى الاتجاهات إسلامية وعلمانية والذين شنوا حربهم على الشيعة وإيران على سبيل الاسترزاق..

الرابع: الدافع السياسي وهو محرك الحكومة التي تحالفت مع السعودية ومع العراق ضد إيران وحفاظا على ولائها الأمريكي الصهيوني. وهو أيضا محرك الأزهر الذي يسير في ركاب الحكومة ويتبع سياستها حتى ولو كانت تخالف مبادئ الإسلام الذي يدعي تمثيله.. (٦)

والمراقب للحرب التي شنت على الشيعة في مصر يبهره حجمها وأدواتها والامكانيات التي سخرت لها والتيارات المختلفة التي أسهمت فيها مما يدفع إلى التساؤل: هل حجم الشيعة في مصر بهذا القدر الذي يتطلب مثل هذه الحرب..؟ والجواب إن هذه الحرب لم تكن موجهة ضد الشيعة كمذهب أو الشيعة كأفراد بقدر ما كانت موجهة ضد إيران وثورتها فهي حرب سياسية في المقام الأول هدفها القضاء على تأثير الثورة على شعوب المنطقة العربية خاصة مصر وقد اتخذت الشيعة ستارا لها لجذب الإسلاميين إلى صفها. وإذا كنا سوف نعتبر هذه الحرب حربا مذهبية بين السنة الذين يريدون الحافظ على وجودهم وعلى عقيدتهم وبين الشيعة الزاحفين عليهم من إيران كما كان يتصور بعض السذج والجهلاء في الوسط الإسلامي، فيجب أن نعتبر صدام حسين زعيم السنة فهو الذي كان يقود

الحرب ضد الشيعة وإيران..
التنظيمات الشيعة:
ولم تتوقف الحرب ضد الشيعة في مصر عند هذا الحد بل تجاوزتها إلى ضرب الأنشطة الشيعية والبطش بكل من يمت للشيعة بصلة..
وكانت أولى الضربات التي وجهت للأنشطة الشيعية في مصر هر وقف نشاط جماعة التقريب ثم حل جمعية آل البيت بقرار أمني..
ثم تتابعت الضربات فكانت أولاهما تتمثل في القبض على مجموعة من العناصر الإسلامية وبعض الكتاب وأساتذة الجامعات واتهامهم بتشكيل مجموعة جهادية بتمويل إيراني فيما عرف وقتها بالقضية رقم ٤٠١ لعام ٨٧.. (٧)
ثم وجهت ضربة أخرى لعناصر من الشيعة المصريين والعرب المقيمين في مصر فيما عرف بالتنظيم الشيعي الخميني عام ٨٨.. (٨)
وقد أثار ظهور هذا التنظيم ضجة واسعة وقتها على مستوى مصر والعام العربي حيث ضم عناصر من البحرين والكويت والعراق اتهموا جميعا بالانتماء لحزب الله.. ولما كانت هذه الدول الثلاث متحالفة ضد إيران فقد أثارها وجود عناصر من شعبها يعمل لحساب إيران وينتمي لحزب الله أداة إيران التي تخشاها.
من هنا سارعت هذه الدول بطلب عناصرها لتحري الأمر وبحث إذا ما كان حزب الله قد تغلغل في بلادهم.. (٩)
لأجل هذا أثار التنظيم الدول العربية ولفت انتباه الرأي العام واستغلته الحكومة المصرية في التقرب لدول الخليج..
وكان هذا التنظيم من جهة أخرى مفاجأة بالنسبة للرأي العام المصري الذي لم يكن يتوقع أن للشيعة وجودا في الساحة الإسلامية بمصر يمكن أن يشكل تحديا أمنيا للحكم..
والطريف في الأمر أن هذا التنظيم المزعوم قد شكل دعاية كبيرة للشيعة في

مصر بصورة غير مباشرة ودفع بالرأي العام إلى محاولة التعرف على الشيعة مما أدى إلى زيادة الإقبال على الكتاب الشيعي.. (١٠)
وفي المقام التالي وجهت ضربة ثانية للشيعة فيما عرف بالتنظيم الشيعي الخميني أيضا. ويبدو أن الحكومة لم تكتفي بالتنظيم الأول فقررت أن تخترع تنظيما ثانيا يفي بالغرض الذي عجز عن تحقيقه التنظيم الأول عل يما يبدو. (١١)
إلا أن الرأي العام المصري كان قد استقبل الاعلان عن اكتشاف التنظيم الثاني بفتور شديد ولم يحظ التنظيم المزعوم بتركيز إعلامي كبير مثلما حدث مع سابقه.
والشئ الملفت للنظر في قضية التنظيم الثاني أن نفس التهم التي وجهت للأول هي نفس التهم التي وجهت للثاني حتى أن مانشيتات الصحف كانت متقاربة إلى حد كبير.
ومع بداية عام ٩٠ بدأت الضغوط تتلاشى تدريجيا عن الشيعة حيت تلاشت تماما مع توقف الحرب العراقية الإيرانية وكان حملة العداء على الشيعة في مصر كانت موقوتة بالحرب. وهذا لا يعني أن الشيعة أصبحت تيارا مشروعا في مصر فلا تزال هناك محاذير أمنية كثيرة تحوم من حولها وهي نابغة كلها من خلال الموقف من إيران..
وإذا كان الشق السياسي في الحرب التي شئت على الشيعة في مصر قد تنحى جانبا بعد حرب الخليج. إلا الشق المذهبي العقائدي لا زال له وجوده الفعال ودوره البارز في الحرب المقدسة التي يرفع رايتها التيار السلفي الوهابي وهو مستمر في رفعها حتى اليوم.. ولن تطوى راية هذه الحرب حتى قيام الساعة.. (١٢)

هوامش:
(١) سوف نعرض للكتب التي أصدرها الشيعة في مصر في ملاحق الكتاب..
(٢) أنظر لنا الحركة الإسلامية في مصر واقع السبعينات. والحركة الإسلامية في مصر واقع الثمانينات..
(٣) أنظر كتابنا الحركة الإسلامية واقع الثمانينات فصل الشيعة..
(٤) أنظر كتابنا عن الحركة الإسلامية. ويذكر أن التصور السلفي الوهابي قد سيطر على التيارات الإسلامية في مصر. وقد أصدرت التيارات السلفية منشورات تحرض المسلمين على الشيعة وتشكك في عقائدهم..
(٥) جاء سعيد حوى وهو من كبار قيادات الإخوان السوريين إلى مصر بجواز سفر عراقي للقيام بحملة دعائية ضد الشيعة وإيران وأصدر كتابا فيها تحت عنوان (الفتنة الخمينية)..؟
(٦) أصدر شيخ الأزهر الحالي الكثير من البيانات ضد إيران وكتب كتابا يهاجم الشيعة وإيران بعد أحداث الحرم المكي عام ٨٧.. أين هذا من تصريح شيخ الأزهر عام ٧٩ لجريدة " الشرق الأوسط ": الإمام الخميني أخ في الإسلام ومسلم صادق.. إن المسلمين باختلاف مذاهبهم إخوة في الإسلام.. والخميني يقف تحت لواء الإسلام كما أقف أنا..
(٧) تم القبض علينا في هذه القضية وكان فيها الدكتور الدسوقي شتا وبعض عناصر من تيار الطلائع الإسلامية الذي كان قد أسسه في مصر فتحي عبد العزيز الشقاني أحد الرموز البارزة في حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين اليوم.. ويذكر أنه تم إغلاق سفارة الجمهورية الإسلامية بالقاهرة وترحيل القائم بالأعمال في هذا العام..
(٨) تصدرت أخبار هذا التنظيم الوهمي الصفحات الأولى للصحف الحكومية وقد اخترعوا له تهمة جديدة هي الأولى من نوعها وهي تهمة الرشوة الدولية وجهت لنا جميعا ولدار البداية التي أسسناها بتمويل إيراني كما

زعموا. وقد ضم التنظيم (٣١) مصريا و (٨) عرب. وتم ترحيل العناصر العربية إلى بلادها.
(٩) اكتشفت هذه الدول فيما بعد أن الأمر لا يخرج عن كونه فرقعة إعلامية افتعلها جهاز الأمن المصري لتحقيق مكاسب سياسة على حساب الشيعة.
(١١) لم يضم التنظيم الثاني أحدا من عناصر التنظيم الأول حتى تكون المسألة مقنعة للرأي العام. وقد ضم بين صفوفه الدكتور فهمي الشناوي الذي كانت تهمة أنه كان يعالج الإمام الخميني ولم يكن يضم عناصر غير مصرية.
وقد أفرج عن المعتقلين فيه بعد بضعة شهور كما كان حال التنظيم الأول.
(١٢) كان لحرب الخليج انعكاسات إيجابية لحركة التشيع في مصر. فهي من جهة لفتت أنظار مثقفي مصر إلى الشيعة بعد سقوط الإسلام السلفي النفطي الذي تعري بعد هذه الحرب. ومن جهة أخرى تسببت في هزة عنيفة للتيار السلفي الوهابي بعد تبرير علماء الوهابية جواز الاستعانة بالمشركين. وأهم نتيجة من وراء هذه الحرب كسبتها الشيعة هي تخفيف الضغوط الأمنية عليها..

رد الفعل الشيعي
الشيعة يتخلون عن التقية..

هل استسلم الشيعة المصريون للضغوط وتراجعوا عن مواجهة الحملات الاعلامية التي شنتها الحكومة والتيار السلفي السعودي والأزهر وغير هم أخذا بمبدأ التقية التي يلتزم بها الشيعة..؟

إن الوقائع تشير إلى غير ذلك فمع بداية الثمانينات كان هناك نشاط شيعي متفرق في مصر وقد أخذ هذا النشاط يتطور تدريجا وأصبح أكثر بروزا على ساحة الواقع أدى إلى استفزاز الحكومة وخصوم الشيعة من السلفيين وغيرهم.. وكان هذا النشاط هو المقدمة التي أدت في النهاية إلى توجيه عدة ضربات متتالية لمجموعات شيعية لم تكن لأنشطتها أية أبعاد سياسية..

البداية:

كان لوجود الكثير من العناصر العربية الشيعية في مصر دوره الفعال في دعم الدعوة الشيعية فيها. فقد كانت مصر مكتظة بالعراقيين الشيعة الفارين من وجه صدام والذين أقاموا في مصر لغرض الدراسة. كما كان بها الكثير أيضا من شيعة البحرين والسعودية الذين يقيمون لنفس الغرض. وقد أسهمت هذه العناصر في القيام بدور دفاعي فعال ضد الهجمات الاعلامية التي شنت على الشيعة في تلك الفترة..

وكانت العناصر العراقية تلتزم بتقليد السيد الخوئي بينما كانت أغلبية العناصر البحرينية تقلد السيد الشيرازي وكذلك كان بعض السعوديون..
ولم تكن فكرة التقليد واضحة في أذهان المصريين حتى تلك الفترة كما لم تكن أسماء كبار المراجع الذين يقلدهم الشيعية مثل السيد الخوئي والسيد الشيرازي معروفة في مصر. وقد اشتهرت أسماء المراجع فيما بعد مع بروز النشاط الاعلامي الشيعي ومع الضربات التي وجهت للشيعة وأدت إلى تسليط الأضواء على مراجع الشيعة.. (١)
ويبدو أن احتكاك المصريين بتلك العناصر العربية قد أدى إلى التعرف على هذه المراجع من قبل المصريين..
إلا أن هذا الاحتكاك بين المصريين والعرب لم تكن نتيجته تنحصر فقط في تحسين صورة الشيعة والدفاع عنها إنما تعدته إلى التزام كثير من المصريين بنهج الشيعة بعد أن تعرفوا إليها عن طريقهم وبواسطة الكتب التي كانوا يحصلون عليها بواسطتهم.. (٢)
وقد تم القبض على بعض هذه العناصر العربية في دائرة التنظيم الشيعي الخميني في عام ٨٨ ومنذ ذلك الحين توقف نشاط الشيعة العرب في مصر..
وكان البعض من العراقيين قد قام بطبع عدد من الكتب الشيعية والكتب المعادية لنظام صدام حسين ونشرها في الأوساط الثقافية..
ومن هذه الكتب كتاب أصل الشيعة وأصولها وكتاب الحرب العراقية الإيرانية وكتاب أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة. ونحو وحدة إسلامية. وفي سبيل الوحدة الإسلامية.
البداية:
في أواخر عام ٨٦ بدأ الإعداد لقيام أول دار نشر شيعية في مصر وكان قيام هذه الدار على كاهل بعض المصريين وبعض العرب. وتم الاتفاق على تسميتها بدار البداية. كما تم الإعداد لنشر عدد من الكتب لبعض مؤلفين ومفكرين من

الشيعة للدخول بها معرض القاهرة الدولي للكتاب.. (٣)
وكان ظهور دار البداية في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ٨٧ قد شكل مفاجأة كبيرة للتيار السلفي الوهابي المتربص بنا. كما كان مفاجأة لرجال الأمن والمراقبين.
ولم يستطع التيار السلفي ضبط أعصابه وكظم غيظه لهذا الحدث فأعلن عن غضبه في منشور انطلق يوزعه على رواد المعرض. وكان هذا المنشور يحوي تحذيرا من دار البداية ومن عدة كتب في مقدمتها كتاب المراجعات وأصل الشيعة وأصولها. وقد أرفق بهذه المنشور صورة صفحة من كتاب الكافي تحوي عدد من الأحاديث الموجهة ضد الصحابة.. (٤)
ولم يقف رد فعل التيار السلفي والذي كان ممثلا في دور النشر السعودية والمصرية المتحالفة معه. عند هذا الحد بل تعداه في القيام بغرات ما بين الحين والآخر على جناح دار البداية لتهديد القائمين عليها وزجر المتعاملين معهما.. (٥)
وشارك رجال الأمن أيضا في هذه الغارات وقاموا باستدعاء القائم على الدار للتحقيق معه حول هذا الأمر.. (٦)
ولعل التوقيت الذي برزت فيه هذه الدار كان من العوامل التي دعمتها إعلاميا ويسرت لها السبيل لنشر كتبها في الوسط الإسلامي. إذ حققت الحملة المضادة التي شنت عليها مردودا دعائيا لم تكن لتستطع القيام به في مثل الظروف العصيبة التي كانت تحيط بالشيعة في ذلك الوقت..
وعلى الرغم من أن الكتب التي أصدرتها دار البداية لم تكن كتبا فقهية أو عقائدية وكانت كتبا فكرية إلا أنها استفزت التيار السلفي استفزاز كبيرا..
وعندما تم القبض على المجموعة الشيعية الأولى عام ٨٨ كانت دار البداية أحد ركائز القضية التي تم صناعتها في تلك الفترة حيث اعتبرت أحد أنشطة المخابرات الإيرانية في مصر. ومنذ ذلك الحين توقفت دار البداية.
وفي الوقت الذي اتهمت فيه دار البداية بالعمل لحساب إيران أو على حد تعبير

الحكومة (الرشوة الدولية) كانت الساحة المصرية تكتظ بعشرات دور النشر السلفية المدعومة من السعودية والتي قام بتأسيسها عناصر من الجماعات الإسلامية التي سبق اعتقالها في قضايا إسلامية. ولا تزال هذه الدور تعمل حتى اليوم وتتكاثر. (٧)
وقد قامت إحدى دور النشر السلفية بإصدار كتاب خاص بدار البداية تحت عنوان (بداية الشر ونهج البربر) هاجمت فيه الشيعة والدار وبعض الكتب التي أصدرتها. والمتأمل في هذا الكتاب الذي كان يوزع مجانا على رواد المعرض عام ٨٨ يجده أشبه بتقرير أمني كتب بقلم رجل من رجال الأمن.. (٨)
وما يجب ذكره هنا أن دار البداية أصبحت علامة بارزة في تاريخ الشيعة الحديث في مصر على ما قدمته من إنجازات في ميدان الدعوة لمذهب آل البيت وما تركته من أثر لا زال باقيا في الوسط الإسلامي حتى اليوم..
دار الهدف:
وقد قامت بعد دار البداية دار جديدة هي دار الهدف لتكون لافتة لشيعة مصر وعلامة من علامات إثبات وجودهم. ولا تزال الحرب الدعائية تشن عليها من قبل التيار السلفي كما لا تزال ترصدها عيون الحكومة.. (٩)
وفضلا عن كون دار الهدف تشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب في كل عام وتسهم في نشر الكتاب الشيعي في مصر وما يحمل هذا من مردود دعائي للشيعة في مصر. فإنها تقوم بالإضافة إلى ذلك بإحياء المناسبات الشيعية كذكرى عاشوراء وذكرى الغدير وذلك تكون قد تحولت إلى حسينية بالمفهوم الشيعي. (١٠)
وإذا كانت الظروف التي تواكبها دار الهدف هي أقل حدة من الظروف التي واكبت دار البداية فإنه لا تزال هناك عدة تحديات تواجهها على مستوى الداخل والخارج..
فعلى مستوى الداخل هناك التيار السلفي الوهابي المتربص الذي يزداد قوة وفعالية وانتشارا خاصة وأن الساحة خالية أمامه بعد بطش الحكومة بالتيارات الأخرى وهناك أيضا الحكومة التي تضع بعض المحاذير الأمنية على النشاط

الشيعي..
وعلى مستوى الخارج ينعكس على الدوام موقف الحكومة من إيران على الشيعة وعلى أنشطتهم في مصر فالحكومة لا تزال تنظر للشيعة على أنهم تابعين لإيران. ومثل هذه التحديات لا تواجه دار الهدف بصفتها دار نشر شيعية وإنما تواجهها بصفتها لافتة لشيعة مصر..

هوامش:
(١) المرجع رتبة فقهية عند الشيعة ويقصد بها الفقيه الذي ترجع إليه الناس في أمور دينها ومن أشهر المراجع المعاصرين السيد محمد الشيرازي والسيد الكلبكاني في إيران. وكل مرجع له رسالة عملية أي كتاب يحوي أحكام الفقه يتناول منه المقلدون لكل مرجع. وأغلب شيعة مصر يقلدون السيد محمد الشيرازي..
(٢) من هذه الكتب المراجعات والشيعة في الميزان وشبهات حول الشيعة ومنار الهدى في النصر على الأئمة الاثني عشر ونهج البلاغة..
(٣) كنا قد قمنا بتأسيس دار البداية وتولينا إدارتها. ومن بين الكتب التي أصدرناها باسم الدار: البعث الإسلامي والمجتمع الإسلامي للسيد محمد المدرس. وكتاب كيف نقهر الخوف للشيخ حسن الصفار. وبعض الكتيبات الصغيرة للسيد هادي المدرس. بالإضافة إلى كتاب من تأليفنا هو الحركة الإسلامية في مصر واقع السبعينات..
(٤) قام السلفيون بتمزيق كل الملصقات الخاصة بدار البداية في المعرض. والكافي هو أحد كتب الحديث الأربعة عند الشيعة. والأحاديث التي صورتها هي أحاديث تتحدث عن ردة الصحابة بعد وفاة الرسول (ص).
(٥) كان وجودنا على رأس الدار قد شكل حصانة لها في مواجهة السلفيين إذ أنني معروف لدى التيارات الإسلامية وسبق لنا معايشتهم لسنوات داخل المعتقلات. ويذكران السلفيين وغيرهم كانوا يظنون أن دار البداية ليست مصرية.
(٦) استدعيت في ذلك الوقت لمكتب الأمن وكان حوار الأمن وكان حوار الأمن يتركز على ماهية
الكتب التي نشرتها الدار وقد احتفظوا ببعض هذه الكتب لدراستها.
(٧) تشكل دور النشر السلفية الوهابية نسبة ٧٠ % على الأقل من دور النشر المصرية. وعلى رأس هذه الدور دار الصحوة التي نشرت أكبر كم من

الكتب التي تهاجم الشيعة وإيران والمكتبة السلفية التي أسسها محب الدين الخطيب والتي تعد من أولى المكتبات التي نشرت الفكر الوهابي وبذرت بذور العداء للشيعة في مصر. ثم دار الاعتصام ودار هجر ومكتبة ابن تيمية ودار المدني وهي دار سعودية تتخذ من مصر مقرا لها.

(٨) ادعى الكاتب في منشوره هذان دار البداية ودار الهدف تابعتان لإيران وتدفان إلى نشر التشيع في مصر. وهاجم بعض الكتب التي أصدرتها دار البداية من مؤلفاتنا ومؤلفات الشيخ حسن الصفار أحد رموز الشيعة البارزة

(٩) قمنا بتأسيس دار الهدف بجهد ذاتي منا..

(١٠) ذكرى عاشوراء في العاشر من محرم وذكرى الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة. وقد حققت الاحتفالات بهذه المناسبات دعاية كبيرة للشيعة في مصر حيث كانت الدعوة لهذه الاحتفالات لا تقتصر على الشيعة وحدهم.

النشاط الشيعي
دعوة التقريب
بعثها العلماء وقتلتها السياسة

بدأت دعوة التقريب في مصر عام ١٩٤٦ وقد دعمتها جماعة الإخوان في ذلك الوقت بقيادة حسن البنا وتبناها الكثير من رجال الأزهر الذين ارتبطوا بعلاقات حميمة مع كثير من علماء الشيعة طوال تلك الفترة وحتى أواخرا السبعيات ومن علماء الأزهر ورجاله البارزين الذين ارتبطوا بتلك الدعوة الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ الشرباصي والشيخ الفحام والشيخ محمد المدني الذي تولى منصب السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية..

ومن علماء الشيعة الذين ساهموا في هذه الجماعة وارتبطوا بعلاقات مع رجال الأزهر والدعاة البارزين في حقل الدعوة بمصر الشيخ محمد تقي القمي صاحب الدعوة وراعيها في مصر وهو من إيران. والشيخ محمد جواد مغنية إلمام القضاء الشرعي الجعفري في لبنان والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء من علماء العراق والسيد مرتضى الرضوي الذي التقى بمعظم رجالات الفكر في القاهرة والسيد طالب الحسيني الرفاعي مؤسس جميعة آل البيت في مصر وهو من علماء العراق.. (١)

ولم يكن من هدف هذه الدعوة أن يترك السني مذهبه أو يترك الشيعي مذهبه، كما يعبر الشيخ المدني، وإنما كانت تهدف إلى أن يتحد الجميع حول الأصول

المتفق عليها ويعذر بعضهم بعضا فيما وراء ذلك مما ليس شرطا من شروط الأيمان ولا ركنا من أركان الإسلام ولا إنكارا لما هو معلوم من الدين
بالضرورة. (٢)
بين الأنصار والخصوم:
وقد كان لجماعة التقريب في بداية معارضون ينابذونها العداء ويثيرون من حولها الشبهات.. يقول الشيخ محمود شلتوت: كان الجو السائد عند بدء الدعوة مليئا بالطعون والتهم مشحونا بالافتراءات وأسباب القطيعة وسوء الظن من كل فريق بالآخر حتى عد تكوين الجماعة بأعضائها من المذاهب المختلفة. السنية الأربعة. والإمامية والزيدية. نصرا مبينا أهاج نفوس الحاقدين. وهو جمت الدعوة لا من فريق واحد بل من المتعصبين أو المتزمتين من كلا الفريقين. السني الذي يرى أن التقريب يريد أن يجعل من السنيين شيعة. والشيعي الذي يرى إننا نريد أن المذاهب. أو إدماج بعضها في بعض.. حارب هذه الدعوة ضيقو الأفق. كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض الخاصة السيئة ولا تخلو أي أمة من هذا الصنف من الناس. حاربها الذين لا يجدون في التفرق ضمانا لبقائهم وعيشهم. وحاربها ذوو النفوس المريضة وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة. هؤلاء وأولئك ممن يؤجرون أقلامهم لسياسات مفرقة لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أية حركة إصلاحية. والوقوف في سبيل كل عمل يضم شمل المسلمين ويجمع كلمتهم.. (٣)
ويقول الشيخ القمي وهو يضرب مثلا عن أن الثقافة الإسلامية هي سبيل وحدة المسلمين: وهكذا تحولت الثقافة الإسلامية من عامة جامعة إلى مذهبية ضيقة. ومن قومية شائعة إلى طائفية محدودة. وعكف كل عالم على مراجع مذهبه وأغضى عما في المذاهب الأخرى. وتعصب لما درس. واستراب في كل ما جهل. وتأثرت كل طائفة بعلمائها وتمسكت بنهجهم ونفرت من كل من يخالفهم في الرأي. ذهبت إلى الشك في عقائد الطوائف الأخرى.. وفي رأيي أن ثقافة

إسلامية موحدة إذا التف حولها المسلمون كفيلة بتوحيد صفوفهم ولا يخفي ما تؤدي إليه الوحدة من عز ومجد وسؤدد. وما دامت هذه الثقافة موجودة فإن من الميسور بلوغ هذه الهدف وهو ما نعمل له ونسعى إلى تحقيقه.. (٤)

ويقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء معرفا بجماعة التقريب: جماعة التقريب ترديدان تقرب بين الطوائف الإسلامية وتبعثهم وتحثهم على الأخوة والوحدة التي أمرهم بها الله في كتابه العزيز ولكن يلزمهم ويلزمنا تمهيدا لهذه الغاية الشريفة أن ينصحوا لإخوانهم من الكتاب وحملة الأقلام ألا يتحرشوا ويطعنوا بإخوانهم الإمامية. فما يكاد يأتي عام إلا ونسمع أو نرى كتابا أو رسالة ترمي الشيعة بالفظائع وتهجم عليهم بالمطاعن. وبحكم الضرورة يلتجئ هؤلاء إلى الدفاع عن أنفسهم فتثور الأحقاد وتستمر الحفائظ وتكون أكبر خدمة للأعداء والمستعمرين. كما أن اللازم على كل فرقة من المسلمين من الشيعة وغيرهم أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية فإنها إن لم تكن محرمة بنفسها ومضرة بذاتها فهي من أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها الأعداء. أعداء الإسلام من كل جانب ومكان حتى من المسلمين ومدعي الإسلام العدو الداخلي الذي ضرره أعظم من العدو الخارجي فهل في هذه كفاية وبلاغ أيها المسلمون.. (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين).. (٥)

وقد استمرت جماعة التقريب تعمل في مصر حتى أواخر السبعينات تمكنت من خلال هذه الفترة من استقطاب الكثير من الرموز الإسلامية البارزة فيها وعلى رأسهم الشيخ محمد متولي الشعراوي..

وكانت فترة السبعينات فترة ساخنة فكريا ولم تكن الساحة متسامحة فكريا وعقائديا في مواجهة أية دعوة تتصل من بعيد أو قريب بالشيعة. إذ كانت قد برزت على الساحة التيارات الإسلامية المتشددة وفي مقدمتها التيار السلفي وتيار التكفير وبرز الدور السعودي الوهابي الذي تمكن من اختراق هذه التيارات ودفع بها إلى تحريض العلماء وإصدار البيانات التي تندد بجماعة التقريب وتشكك في الشيخ القمي..

الحرب النفطية:
ومن هذه الحرب التي شنت على جماعة التقريب تلك الحرب التي تزعمتها مجلة الاعتصام التي تسير في الخط السعودي الوهابي والتي نشرت رسالة من مفتي مصر السابق محمد حسنين مخلوف إلى الشيخ الشعراوي الذي كان وزيرا للأوقاف حينئذ ينصحه فيها بالخروج عن جماعة التقريب ووقف حواره مع الشيعة.. (٦)
وعندما قامت الثورة الإسلامية في إيران توقف نشاط الجماعة وتوقفت مجلة " رسالة الإسلام " التي كانت تصدرها الجماعة والتي كانت تضم الكثير من المقالات لعلماء من السنة والشيعة. كما توقفت جميعة آل البيت وسائر الأنشطة الشيعية الأخرى في مصر..
والغريب أن الأزهر الذي كان متحالفا مع دعوة التقريب ومتعاطفا مع الشيعة انقلب فجأة على الشيعة وإيران بعد قيام الثورة سيرا مع سياسة الحكومة المعادية لإيران ولا يزال الأزهر على موقفه هذا حتى اليوم حيث يطارد الكتاب الشيعي في مصر بدعوى أن الشيعة وراء التطرف السائد فيها.. (٧)
إن الطابور الضخم من فقهاء النفط أسهم بدور كبير في القضاء على جماعة التقريب في مصر أكثر من إسهام الحكومة ذاتها. فهؤلاء الفقهاء كانوا يتحركون من منظور جذاب وهو منظور العقيدة والحفاظ عليها من العد الشيعي. أما الحكومة فكانت تتحرك من منظور أمني بحت.. (٨)
وعلى الرغم من هذا الحصار الأمني والفكري الذي طوق الواقع الإسلامي بمصر بعد قيام الثورة الإسلامية واندلا ع الحرب العراقية الإيرانية كانت لا تزال هناك أصوات تنادي بالتقريب وتحاول إنصاف الشيعة من العلماء والدعاة. وفي مقدمة هؤلاء الشيخ محمد الغزالي الذي يقول: نعم أنا كنت من المعنيين بالتقريب بين المذاهب الإسلامية وكان لي عمل دؤوب ومتصل في دار التقريب في القاهرة وصادقت الشيخ محمد تقي القمي كما صادقت الشيخ محمد جواد مغنية ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة. وأنا أريد فعلا أن نذهب الجفوة أو

الشقاق المر الذي شاع بين المسلمين خصوصا في أيام اضمحلالهم الفعلي.. (٩)
والأستاذة الداعية السيدة زينب الغزالي أجابت حين سئلت عن رأيها في مشكلة التفريق بين المذاهب الإسلامية. قائلة: فلا شك أن هذه مؤامرة صهيونية إنني أرى أن الشيعة الجعفرية والزيدية مذاهب إسلامية مثل المذاهب الأربعة لدى السنة وعلى عقلاء السنة والشيعة وعلى قيادات السنة والشيعة أن يجتمعوا في صعيد واحد وأن يتفاهموا وأن يتعارفوا على ربط المذاهب الأربعة والمذهب الشيعي بعضها ببعض وكذلك مذهب الظاهرية لابن حزم وأدعوا إلى اجتماع علماء الإسلام من كل المذاهب للتصدي لتلك المؤامرة الصهيونية. ولي أنا شخصيا تجربة في هذه المسألة فقبل عام ١٩٥٢ كان هناك جماعة التقريب بين المذاهب والتي كان يشرف عليها الشيخ محمود شلتوت والشيخ القمي وقد شاركت في عمل هذه الجماعة وبمباركة الإمام حسن البنا الذي كان يري أن المسلمين سنة وشيعة أمة واحدة وأن الخلاف المذهبي لا يفرق وحدة الأمة. وكان الإخوان المسلمون متعاونين مع هذه الجماعة على أساس أن الإسلام يد واحدة. إله واحد. كتاب واحد، رسول واحد، حلال واحد، حزام واحد، نظام سياسي واحد، اقتصاد واحد، نظام اجتماعي واحد، دولة واحدة، من أجل تطهير العالم من الظلم والزور والخديعة التي تمارسها القوتان الكبريان ويجب أن يكون الشيعة والسنة على قلب واحد.. (١٠)

والدكتور علي عبد الواحد وافي عميد كلية التربية جامعة الأزهر الذي يقول في كتابه: بين الشيعة وأهل السنة: وإنما الغرض من تأليف هذا الكتاب – التقريب بين طوائف أهل السنة وطوائف الشيعة الجعفرية وبيان أن الخلاف بينهما خلاف اجتهادي يسمح به الإسلام بل يرحب به ولا يصح أن يدعوا إلى قطيعة ولا إلى تنافر.. (١١)

وكانت هناك لقاءات بين زعيم الإخوان حسن البنا وبين علماء ومراجع الشيعة البارزين في فترة الأربعينات وكان الهدف من هذه اللقاءات هو توحيد المسلمين في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.. ومن أشهر هذه اللقاءات اللقاء الذي تم

بينه وبين آية الله الكاشاني في موسم الحج.. (١٢)
ويقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل: إن الأزهر لا يحمل إلى إخواننا الإمامية وإلى إخواننا الزيدية إلا كل ود ونحن الآن في دور ندعو فيه إلى الوحدة والأخوة.. (١٣)
ويقول الشيخ الفحام شيخ الأزهر الراحل: المعروف أن المسلم هو كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ولا يخرجه من إسلامه تمسكه بمذهب من المذاهب وقد استفدت أو أفدت من زياراتي لكل البلاد الإسلامية استعداد الجميع لهذا التقارب.. (١٤)
ويقول الشيخ الباقوري: الخلاف بين السنيين والشيعيين خلاف يقوم أكثره على غير علم حيث لم يتح لجمهور الفريقين اطلاع كل فريق على ما عند الفريق الآخر من آراء وحجج.. وإذاعة فقه الشيعة بين جمهور السنيين وإذاعة فقه السنيين بين جمهور الشيعة من أقوى الأسباب وأكدها لا زالة الخلاف بينهما. فإن كان ثمة خلاف فإنه يقوم بعد هذا على رأي له احترامه وقيمته.. (١٥)
ويقول الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بالأزهر: الفقه الإسلامي لكل المكلفين شريعة واحدة يتعبد بها أهل الأمصار على اختلاف الأنظار فيا حبذا لو تبادل الشيعة وأهل السنة ما عندهم من العلم حتى إذا امتزج البحران ظهر منهما اللؤلؤ والمرجان.. (١٦)
ويقول الشيخ عبد الرحمن النجار: لا يمكن أن يغفل رأي الشيعة لأنهم يمثلون نصف المسلمين في العالم فليس من المعقول أن يهمل اجتهادهم أو يتخذ منهم موقف الرفض والعداء في الوقت الذي ننادي فيه بتجميع كلمة المسلمين.. والشيعة لهم اجتهادات طيبة في الفقه، ولا أدري لماذا يتغافل المسلمون السنيون عنها أو يهملونها. مع أن الكثير منها يحقق التفاعل مع المجتمع في عصرنا الحديث.. (١٧)

هوامش:
(١) جميع هؤلاء العلماء كانت لهم رحلات متكررة لمصر وأنشطة دعوية فيها وسوف نتحدث عن جميعة آل البيت والدور الذي لعبته في فترة السبعينات في الفصل القادم..
(٢) دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام. من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ١٩٦٦.
(٣) المرجع السابق..
(٤) المرجع السابق..
(٥) المرجع السابق..
(٦) نشرت هذه الرسالة في العدد التاسع لعام ١٩٧٧. وقد هاجم فيها المفتي الشيعة وطعن في عقيدتها وشكك في دور الشيخ القمي الذي وكان قد استقبله الشيخ الشعراوي ودار بينهما حوار التقريب نشرته الصحف آنذاك
والجدير بالذكر أن الشيخ الشعراوي استقبل الرسالة بعدم الارتياح.. انظر نص رسالة المفتي بملاحق الكتاب..
(٧) يصادر الأزهر الكثير من كتب الشيعة في معرض القاهرة الدولي للكتاب كل عام.. وهناك الكثير من الكتب الشيعية وضعها على القائمة السوداء منها على سبيل المثال كتاب الشيعة والحاكمون للشيخ محمد جواد مغنية وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين. والبيان في تفسير القرآن للخوئي. وتفسير الميزان للطباطبائي. ونظام وحقوق المرأة في الإسلام للشهيد مطهري. بالإضافة إلى كتب الإمام الخميني..
(٨) أنظر لنا فقهاء النفط..
(٩) مجلة الطليعة الإسلامية عدد ٢٦ / ٣ / ٨٥..
(١٠) مجلة العالم الصادرة في لندن العدد رقم ٥٨. مارس ٨٥.

(١١) كتاب بين الشيعة وأهل السنة من الكتب التي صدرت في فترة الثمانينات وهي فترة الغارة على الشيعة وإيران في مصر..
(١٢) يبدوا أن هذه اللقاءات كانت عن الدوافع التي أدت إلى التعجيل باغتيال البنا. إذ أن مسألة وحدة المسلمين كانت مسألة مقلقة بالنسبة للقوى المستعمرة للعالم الإسلامي آنذاك..
(١٣) في سبيل الوحدة الإسلامية مرتضى الرضوي.. ط. طهران..
(١٤) المرجع السابق.. ويذكر أن شيخ الأزهر قام بزيارة إيران على رأس وفد إسلامي واستقبله كبار رجال الدولة هناك وقد عقد عدة ندوات ولقاءات مع علماء الشيعة ومختلف الطوائف هناك.. وذلك بتاريخ ٩ / ٧ / ٧١.
(١٥) مقدمة كتاب المختصر النافع في فقه الإمامية.. ط. القاهرة..
(١٦) في سبيل الوحدة الإسلامية..
(١٧) المرجع السابق.. هذا هو موقف الأزهر قبل قيام الثورة الإسلامية ودخول الحركة الإسلامية المرحلة النفطية. وتأمل موقفه الآن في الحقيقة النفطية وتأمل موقف التيارات الإسلامية أيضا التي ابتلعها الأخطبوط النفطي والتي دفعت إلى مناصبة الشيعة وإيران العداء. والظريف أن التيارات الإسلامية تناصب الأزهر العداء أيضا ولا تعترف بتصريحاته وفتاواه..

جمعية آل البيت
أوقفها الأمن وأعادها القضاء..

ظهرت جميعة آل البيت في عام ٧٣ وكان المناخ الإسلامي في تلك الفترة هادئا فلم تكن التيارات الإسلامية قد برزت بعد.. (١)
ولم تكن الجمعية تظهر السمة الشيعية علانية كما لم تكن فكرة التشيع واضحة من خلال الأهداف التي قامت على أساسها والتي كانت تنحصر في المساعدات الاجتماعية والخدمات الثقافية والعلمية والدينية..
ونظرا لكون المسألة الشيعية لم تكن مطروحة في ذلك الوقت وكانت العلاقات المصرية الإيرانية في أعلى درجاتها فقد كانت الجمعية تمارس نشاطها في هدوء ودون أية معوقات..
وقد أقامت الجمعية عدة صلات مع الهيئات الإسلامية المختلفة في مصر وفي مقدمتها جماعة الخوان المسلمين.. (٢)
من هنا كان المراقب لنشاط هذه الجمعية يمكنه الحكم أنها جمعية تقريبية تعتبر امتداد لجماعة التقريب خاصة أنها تضم بين عناصرها من ينتمي للسنة ومن ينتمي للشيعة..
وكان من أبرز العناصر التي ارتبطت بالجمعية في تلك الفترة السيد طالب الرفاعي وهو من علماء الشيعة العراقيين وكان له نشاطا بارزا في دائرتها.. (٣)

لماذا أوقفت الجمعية..؟
وكانت الجمعية قد قامت بإصدار بعض الكتب الشيعية مثل كتاب " المراجعات " وكتاب " علي لا سواه " وكتاب " التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية ".. (٤)
ويبدو أن هذه الكتب قد لفتت الانتباه للجمعية وأثارت بعض الجهات المعادية للتشيع في مصر خاصة أن الأمور في الساحة الإسلامية بدأت تزداد سوءا بعد ظهور تيار الجهاد في حركة عام ٧٤. وتيار التكفير في حركة عام ٧٦. وقيام الحكومة بالتصدي للتيارات الإسلامية وقمعها.. (٥)
وأدى قيام الثورة الإسلامية في إيران ومعاداة النظام المصري لها إلى تعقيد الأمور أمام الأنشطة الإسلامية بشكل عام والأنشطة الشيعية بشكل خاص..
إلا أن ما استفز الحكومة تجاه جمعية آل البيت ليس فقط الكتب التي أصدرتها وقام الأزهر بمنعها. وإنما الأمر الذي شكل استفزازا صارخا في تلك الفترة التي أعلنت فيها الحكومة الحرب على التيار الإسلامي هو ذلك التواجد العربي بالجمعية..
ومسألة اتصال المصريين بالأجانب أو اتصال الأجانب بالمصريين تشكل استفزاز كبيرا لجهاز الأمن المصري حيث إن الاعتقاد السائد لدى هذا الجهاز أن أي نشاط معاد لنظام الحكم لا بد أن تكون ورائه أصابع أجنبية.. (٦)
من هنا صدر قرار الحكومة بوقف الجمعية في عام ٧٩ أي أن الجمعية لم تمكث على الساحة سوى ستة أعوام بدأت في ٢٢ / ٨ / ٧٣ وانتهت في ٢ / ١٢ / ٧٩..
وجاء في قرار الوقف أن الجمعية تمثل خطورة على عقائد الناس ووحدة صفوفهم ببث أفكار غريبة تخالف الدين الإسلامي وتؤيد الفكر الشيعي. وهذا يعني أن الجمعية ارتكبت المخالفة التي تبيح حلها حسب قانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة الذي ينص على أنه يجوز حل الجمعية في حالة إذا ما ارتكبت مخالفة جسيمة للقانون أو إذا خالفت النظام العام والآداب.. (٧)

ولم يقف الحد عند إيقاف الجمعية فقط بل تم مصادرة المسجد الوحيد التابع للجمعية والذي كان يحمل اسم مسجد آل البيت وضم إلى مساجد الحكومة.. (٨)

كلمة القضاء:

ومع بداية عام ٨١ بدأ القضاء ينظر الدعوى المرفوعة من القائمين بأمر الجمعية ضد الحكومة والتي يطالبون فيها بعودة الجمعية ووقف تنفيذ قرار الحل.

ولقد كان الدفاع يركز في مرافعته عن الجمعية على الاتهام الموجه لها بأنها تمثل خطورة على عقائد الناس وأكد عدم اشتغال الجمعية بأي مذهب فقهي سواء من المذاهب الشيعية أو مذاهب أهل السنة وعدم ارتكابها لأي أمر مخالف للشرع.. (٩)

والحقيقة أن الجمعية لا شأن لها بالمذاهب الفقهية ولا بالعقائد إذ هي ليست جهة دراسة أو فتوى أو وعظ عام. ثم إن الجمعية تركز هدفها في العمل بالتعبد لله تعالى ومن التعبد لله تعالى إلى العمل على حب رسوله الكريم والتأسي به وبآله الصالحين الأبرار وإحياء ذكراهم لإحياء نفوس المسلمين وجمعهم حول القدوة الحسنة وحول معنى العمل الصالح بما يؤلف بين القلوب ويجمعها على الالتفاف حول الخير والبر تأسيا بأئمة البر والتقوى من آل المصطفى الذين عززهم الله وكرمهم حتى في كتابه الكريم. ومن ثم فإنه لبهتان وزور أن ينسب إلى الجمعية أي خطأ يلصق بها الأضرار بعقائد الناس ووحدة صفوفهم.. (١٠)

وكان الموقوف العدائي الذي اتخذته الحكومة من إيران قد انعكس بوضوح على قضية الجمعية حيث إن الجمعية شيعية وإيران تدين بالمذهب الشيعي فلا بد من الربط بينهما حسبما ادعت الحكومة..

والجمعية كانت تركز على إحياء ذكرى الرسول (ص) وآله الأبرار والعمل على مساعدة المحتاجين ودفن الموتى وإقامة الندوات الدينية دون انتماء إلى جماعات هدامة في الدين أو السياسة فقرار الوقف تجرد من سببه القانوني فهو جدير بالإلغاء.. (١١)

وعلى هذا الأساس أصدر القضاء حكمه بوقف قرار حل جمعية آل البيت لعدم وجود أسباب قانونية كافية وذلك بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ٨١..
لقد كان في مواجهة الجمعية ثلاث قوى متربصة بها وزارة الشؤون الاجتماعية وهي الجهة المختصة بإصدار التراخيص الخاصة بالجمعيات الأهلية. ووزارة الأوقاف وهي الجهة الخاصة بالدعوة والإرشاد الحكومي. أما الجهة الثالثة فهي مباحث أمن الدولة..
وزارة الشؤون أصدرت قرار الحل..
ووزارة الأوقاف صادرت مسجد الجمعية..
ومباحث أمن الدولة حالت دون تنفيذ حكم القضاء..
كانت مبررات وزارة الشؤون تتلخص في أن الجمعية خالفت القانون الخاص بالجمعيات.
وكانت مبررات وزارة الأوقاف أن الجمعية تمثل خطورة على عقائد الناس ووحدة صفوفهم وتغزو عقولهم بأفكار غريبة عن الدين الذي توارثوه. وما أفاد به مجمع البحوث الإسلامية بخصوص كتابي " المراجعات " وعلي لا سواه، بخصوص منع هذين الكتابين من منشورات الجمعية..
وكان موقف مباحث أمن الدولة ينص على أن الجمعية تروج للفكر الشيعي في البلاد كما يتردد عليها كثير من الطلبة العرب والإيرانيين الذين يدينون بالمذهب الشيعي ويقدمون التبرعات المالية لنشر مبادئ هذا المذهب..
من هنا فقد هددت مباحث أمن الدولة القائمين على الجمعية لتحول بينهم وبين تنفيذ الحكم القضائي الذي صدر لصالحهم..
ولا تزال الجمعية موقوفة في انتظار عودة العلاقات المصرية الإيرانية..
والجدير بالذكر هنا أن جمعية آل البيت لا تمثل الشيعة في مصر وإنما هي أحد أنشطة الشيعة..

هوامش:
(١) كانت هناك ثلاث تيارات قد خرجت لتوها من المعتقلات ولا تزال تنفض عن نفسها غبار السجن وهي تيار الإخوان وتيار التكفير والتيار القطبي. أنظر لنا الحركة الإسلامية في مصر: واقع السبعينات. ط. القاهرة.
(٢) كانت الجمعية تستضيف دعاة من الأزهر ومن جماعة الإخوان لإلقاء المحاضرات وخطبة الجمعة التي كانت تقام بمقر الجمعية بالقاهرة.
(٣) السيد طالب الرفاعي كان المعمم الوحيد تقريبا بمصر في تلك الفترة وقد أقام بها وتزوج منها وحدث صدام بينه وبين المصريين القائمين على الجمعية. والجدير بالذكر أنه هو الشخصية الشيعية التي صلت على الشاه حين أقيمت له مراسيم الدفن في مصر.
(٤) التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية. هو مقدمة الشهيد باقر الصدر لكتاب تاريخ الإمامية وأسلافهم وهو ما طبع فيما بعد في بيروت تحت اسم " بحث حول الولاية " وكان الذي أعد وقدم له السيد طالب الرفاعي.
(٥) حركة الفنية العسكرية هي أول صدام مسلح بين تيار الجهاد وبين الحكومة وقادها صالح سريه مع بعض طلبة الكلية الفنية العسكرية عام ٧٤. وتيار التكفير ظهر داخل المعتقلات في فترة الستينات وانتشر في أوساط الطلبة والحرفيين في مصر وقد وجهت له الحكومة ضربة قاضية بإعدام زعيمه شكري وأربعة من رفاعة عام ٧٧ بعد أن اختطفت الجماعة الشيخ الذهبي وزير الأوقاف الأسبق وقتلته. كذلك تم القبض على مجموعة جهادية كانت امتداد الحركة الفتية العسكرية في العام نفسه. أنظر الحركة الإسلامية.
(٦) جميع الاتجاهات الإسلامية وغير الإسلامية المعارضة للحكومة هي ممولة من الخارج في نظر الحكم ومدعومة من قبل قوى أجنبية. هذا هو التصور الثابت لدى الحكومة وجهاز الأمن المصري. وهذا يفسر لنا موقف الحكومة من الشيعة في مصر ذلك الموقف المرتاب الذي يشك بوجود علاقة ودعم من إيران. واليوم ربطوا هذا الدعم بالتيارات الجهادية. حول هذا الأمر أنظر لنا مذكرات معتقل سياسي. ط. القاهرة.

(٧) عريضة الدعوى التي وضعها الدفاع في قضية حل الجمعية.
(٨) رفع الأذان من هذا المسجد بحي على خير العمل لأول مرة في تاريخ مصر منذ سقوط الفاطميين.
(٩) عريضة الدعوى..
(١٠) المرجع السابق..
(١١) المرجع السابق..

البهرة الفاطميون يعودون لمصر
بعد غيبة ثمانية قرون...

لم يعد هناك للشيعة الإسماعيلية الفاطمية في مصر اليوم.
فشيعة مصر اليوم يدينون بالمذهب الإمامي الاثني عشري
السائد في إيران والعراق والخليج والجزيرة العربية
ولبنان وباكستان...
أما في سوريا واليمن والهند فتوجد طوائف أخرى من الشيعة مثل العلويين
والإسماعيليين في سوريا. والزيدية في اليمن. والإسماعيلية في الهند...
والبهرة موضع حديثا هنا ينتمون إلى طائفة الإسماعيلية...
والإسماعيلية طائفة تنتسب إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق وتعتبر
الإمامة في نسله. فمن ثم هي لا تعترف بالإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر
الصادق الإمام الصادق عند الشيعة الإمامية. وهذا هو جوهر الخلاف بين
الإسماعيلية والإمامية...
تنقسم الشيعة الإسماعيلية إلى طائفتين:
المستعلية وهي ما يطلق عليه البهرة...
النزارية وهي ما يطلق عليه الاغاخانية..
أما سبب هذا الاقتسام فيعود إلى عهد المستنصر بالله الفاطمي عام ٤٨٧ ه.

حين وقع الخلاف حول تعيين ولي العهد..
* نشأة البهرة:
كان للمستنصر الفاطمي عدة أولاد منهم محمد ونزار وعبد الله وإسماعيل وحيدرة وأحمد وكانت الدولة في قبضة بدر الجمالي وزير المستنصر ومن بعده ولده الأفضل. وكان بدر ولده على مذهب الإمامية مخالفين بذلك مذهب الدولة والعائلة الفاطمية..
وأراد الأفضل تعيين أحمد الأصغر خليفة للمستنصر بعد وفاته وتصدى له نزار الابن الأكبر للمستنصر. ورفض مبايعة أخاه الأصغر الذي لقب بالمستعلي وفر من وجه الأفضل مخالفة أن يبطش به ولجأ إلى إسكندرية حيث تحالف معه واليها ونظما جيشا غزا الدلتا وتصدى له جيش الأفضل فأوقع جيش نزار به الهزيمة. إلا أن جيش الأفضل استعاد قوته ودخل موقعة فاصلة مع جيش نزار بالقرب من القاهرة وهزم جيش نزار وفر إلى إسكندرية وتحصن بها وحاصرها الأفضل برا وبحرا حوالي العام. ثم استسلمت في النهاية وطلب نزار الأمان فأمنه الأفضل. (١)
ويروي المؤرخون أن المستعلي رفض تأمين نزار بعد أن جاءه أسيرا في قبضة الأفضل وحبسه وضيق عليه إلى أن مات.. (٢)
وقيل الحسن الصباح زعيم الفرقة الشهيرة بالحشاشين وهو أحد الدعاة الإسماعيلية البارزين في تلك الفرقة. خطب لنزار وعمل على تكوين فرقة له عرفت وقتها بالنزارية. وأرسل بعض أتباعه لإحضار نزار من مصر إلى فارس حيث مقر دعوته.. (٣)
وقيل أيضا إن نزار فر من الحصار حول الإسكندرية واتجه إلى الصباح في فارس وتزوج ابنته ونص بالإمامة من بعده على ولده منها.. (٤)
ومن المعروف تاريخا أن الحسن الصباح كون فرقة انتحارية هدفها تصفية كل معارضي دعوته. وكان من ضحاياه الوزير نظام الملك وزير ألب أرسلان وملك شاه من ملوك السلاجقة. وقد حاولوا قتل الخليفة الآمر بأحكام الله ابن المستعلي في

عام ٥٢٤ ه.
ويذكر أن هذه الفرقة الانتحارية أصابت المجتمع السلجوقي بالرعب حيث كانت غارات الفدائيين الإسماعيليين لا تنقطع عن السلاجقة..
وكما تذكر كتب التاريخ فقد كان الحسن الصباح على درجة كبيرة من الفقه وقد دون عقائده في كتب. فهو من ثم الذي أعطى الدفعة الفكرية الأولى لاتجاه النزارية وعمل على نشره في بلاد فارس وما ورائها. وتمكن من الاستيلاء على بعض القلاع الواقعة على بحر قزوين منها قلعة الموت الحصينة التي اتخذوها مقرا له ولأتباعه. وبدأ يشكل خطورة على السلاجقة الذين كانوا يسيطرون على فارس. والعباسيين في بغداد.. (٥)
لقد أدى الخلاف حول أحقية الإمامية من بعد المستنصر إلى انقسام فرقة الإسماعيلية وانتقل هذا الخلاف إلى الهند التي كانت قد وصلتها دعوة الشيع من قبل ظهور الفاطميين عن طريق اليمن. ثم عن طريق البحرين بعد ظهور الفاطميين..
واتجه شيعة الهند القدامي إلى تبني الدعوة المستعلية وأصبح يطلق عليهم اسم البهرة. وهي كأمة تعني بالعربية: تاجر..
وربما كان سبب ظهور كلمة البهرة وإطلاقها على اتجاه المستعلية يعود سببه إلى العلاقات التجارية التي تربط هؤلاء الهنود الشيعة بمصر واليمن..
من هذا ارتبطت المستعلية بمصر ارتباطا روحيا لكونها تمثل قاعدة الفاطميين وبها مراقد أئمتهم وآثارهم. بينما أخذت النزارية طابعا إقليميا وحصرت نفسها في محيط الهند ولم تعد ترتبط بمصر ذلك الارتباط الروحي الذي يوجب عليها الهجرة إليها كما هاجرت فرقة المستعلية.. (٦) وقد انقسمت المستعلية في الهند إلى طائفتين: داودية. وسليمانية. نسبة إلى أسماء اثنين من كبار دعاتهم. والذين يأتون إلى مصر ينتسبون إلى داودية. (٧) ويحتفظ البهرة في الهند بكثير من الكتب الفاطمية التي نقلت إليها من اليمن

ومصر خاصة بعد سقوط الدولة الفاطمية وما لحق بتراث الفاطميين من تدمير وإحراق على يد صلاح الدين. ومن بين هذا الكتب السجلات المستنصرية ودعائم الإسلام للقاضي النعمان وهو كتاب الفقه الأساس عند طائفة البهرة وقد تم طبع كلا الكتابين في مصر.. (٨)

* العودة إلى مصر:

هناك إشارات تاريخية تؤكد أن كثير من الشيعة المصريين الذين فروا من وجه صلاح الدين اتجهوا إلى الهند وأقاموا فيها. مما يومئ إلى أن من هؤلاء البهرة من تمتد أصوله إلى مصر واليمن وبقاع عربية أخرى..

والظاهر أن البهرة إلى مصر بدأت في أواخر السبعينات في عهد السادات وبدأت في الازدياد في فترة الثمانينات..

وقد اتجه البهرة فور وصولهم إلى مصر إلى القاهرة الفاطمية وأقاموا فيها وبدأوا رحلة البحث عن مراقد وآثار الأئمة الفاطميين والعمل على بعثها وتجديدها..

وكان من أشهر الآثار الفاطمية التي قام البهرة بتجديدها في مصر مسجد الحاكم بأمر الله المسمى بالجامع الأنور الملاصق لسور القاهرة من الجهة الشمالية بجوار بوابة الفتوح وهو من أضخم مساجد القاهرة وقد استخدمه الصلاح الدين ومن بعده ملوك الأيوبيين بعد أن تم إغلاق الجامع الأزهر..

ولا تقتصر مهمة البهرة في مصر على آثار الفاطميين وحدهم بل امتدت لتشمل مراقد آل البيت في مصر. فقاموا بتجديد مرقد السيدة زينب بالقاهرة ومقصورتها كما جددوا مقصورة رأس الحسين. وجددوا قبر مالك الأشتر الذي دفن إلى جواره مؤخرا

شقيق شيخ البهرة..

يقول الأستاذ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية: البهرة أي كبار التجار ويقولون إنهم أحفاد الفاطميين. هاجروا في الحكم الأيوبي وتنقلوا في البلاد حتى استقروا بالهند. وهم معتدلون في الغالب. وهم الذين جددوا جامع الحاكم بعد

اندثاره. ووهبوا لمشهد الحسين والسيدة زينب ضرائح الذهب والفضة فهم غير الاغاخانية. وكان الأزهر قد أهدى سلطانهم الدكتوراه الفخرية. فهم مسلمون. (٩)
ويلاحظ أن طائفة البهرة يقيمون شعائرهم علنا في مسجد الحاكم بأمر الله ويبدو من ظاهرة التمسك بالسنن والهيئات الإسلامية. كما يلاحظ عليهم الانضباط والنظام فهم يسيرون جماعات بشوارع القاهرة ويمسكون بالمصاحف في أيديهم ونسوتهم محجبات وقد اعتاد رؤيتهم رجل الشارع في مصر.
وهم لم يكتفوا بمجرد الإقامة في مصر وبجوار القاهرة القديمة بل اتجهوا إلى إقامة المشاريع التجارية وبعضهم اشتروا بيوتا ومحلات تجارية في الشارع القديم الذي يشق قلب القاهرة القديمة والمسمى بشارع المعز لدين الله الفاطمي..
ويتوافد البهرة الفاطميين على مصر يزداد التواجد الشيعي برزوا فيها بعد أن كان قد اختفى منها طيلة ثمانية قرون..

* شبهات حول البهرة:

هناك كثيرا من الشبهات أثيرت من حول البهرة في الفترة الأخيرة ضمن حملة قادتها بعض الأطراف المعادية للشيعة.. (١٠)
ومن هذه الشبهات ما يثار حول دور البهرة في مصر والأهداف التي جاءوا لتحقيقها فيها. وما يثار حول عقائدهم وحقيقة مذهبهم. وما يثار حول تعديهم على الآثار.
ومثل هذه الشبهات إنما كانت لها أبعادها السياسية خاصة في فترة الحرب العراقية الإيرانية حين كانت الحرب على أشدها على الشيعة وإيران..
وقد حاول البعض إثارة الحكومة على البهرة وطردهم من مصر. إلا أن الحكومة على ما يبدو راضية عليهم ومطمئنة إلى وجودهم بمصر. ولم تظهر أية بوادر من البهرة تستفز الحكومة أو تثير جهاز الأمن عليهم. وكلا الطرفين يتعامل مع الآخر وفق حدود مرسومة..

أما بخصوص معتقداتهم فهم يدينون بالمذهب الإسماعيلي كما ذكرنا ويمثلون الجانب المعتدل منه.. وهم في عبادتهم وشعائرهم لا يختلفون عن الإمامية في شئ.

إلا أنهم يختلفون مع الشيعة الإمامية في قضية الإمامة. وهم يعترفون بستة من الأئمة الاثني عشر فقط من الإمام علي حتى جعفر الصادق. ويأخذون بقية أئمتهم من سلالة إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق الذي توفي في حياته. ولأجل ذلك سميت الطائفة بالشيعة الإسماعيلية تمييزا لها عن الشيعة الإمامية التي تعتقد بوصية الإمام جعفر لابنه موسى الكاظم الإمام السابع الذي لا تعترف به الإسماعيلية كما ذكرنا.. (١١)

وطائفة البهرة في مصر ترتبط بعلاقات وثيقة مع الحكومة. وإمام الطائفة كان على علاقة بالسادات وحسني مبارك اليوم. كما أن لهم علاقات وثيقة بوزارة الأوقاف وقد تبرعوا لها بملايين الدولارات.. (١٢)

* هوامش:
(١) أنظر النجوم الزاهرة وخطط المقريزي وشذرات الذهب واتعاظ الحنفا والكامل.
(٢) أنظر المراجع السابقة.. والمستنصر للدكتور عبد المنعم الماجد..
(٣) أنظر المراجع السابقة..
(٤) أنظر المراجع السابقة..
(٥) أنظر ترجمة الحسن الصباح في وفيات الأعيان والبداية والنهاية وكتب الفرق..
(٦) أنظر المستنصر ومقدمة كتاب دعائم الإسلام المطبوع في مصر تحقيق آصفي بن علي أصغر فيضي. وقد تعاون مع أصغر في هذا الكتاب كثير من المفكرين والأساتذة في مقدمتهم الدكتور طه حسين وهو الذي زكى الكتاب لدى دار المعارف. وعمل فهارس هذا الكتاب محمد فؤاد عبد الباقي ومن عجائب القدر أن باحثا هنديا (أصغر) يعيد إلى مصر كتابا من أقدم كتبها فقد منها واحتفظ به بأمانة في بلاد بعيدة عنها وهي بلاد الهند..
(٧) البهرة الداودية هم الأغلبية. انظر مقدمة دعائم الإسلام..
(٨) أنظر المستنصر ودعائم الإسلام..
(٩) أنظر أهل القبلة كلهم موحدون للأستاذ محمد زكي إبراهيم. من المطبوعات العشيرة المحمدية..
(١٠) قادت هذه الحملة صحيفة الأحرار التي تصدر عن حزب الأحرار في مصر..
(١١) أنظر كتاب الفرق. وتاريخا لشيعة..
(١٢) أهدى الأزهر الدكتوراه الفخرية لسلطان البهرة..

* خاتمة:

يسعى الشيعة في مصر اليوم إلى تحقق تواجد شرعي لهم على ساحة الواقع غير أن السعي نحو تحقق هذا الهدف تشوبه الكثير من المحاذير الأمنية والسياسية..

فعلى مستوى الداخل يزداد موقف الحكومة تشديدا في مواجهة التيار الإسلامي بشكل عام. كما يزداد موقفها تشديدا أمام المعارضة والتي بررت لها مؤخرا صياغة مجموعة من القوانين التي تهدف إلى السيطرة على النقبات والتضييق على الأحزاب..

ويزداد الوضع الاقتصادي تدهورا مما يزيد من العوامل الاضطراب وتدهور الوضع الأمني وهو ما دفع بالحكومة إلى تشديد قبضتها البوليسية على الشارع المصري..

وعلى المستوى الخارج تزداد هوة الشقاق بين مصر وإيران نتيجة الانهيار الأمني ومحاولة ربط إيران بتيار الجهاد مما ينعكس على الشيعة المصريين بشكل مباشر.. إذ أن الحكومة سيرا مع قناعتها بأن هناك أصابع أجنبية تحرك دائما أي محاولة للخروج على الشريعة فإنها تنظر بعين الشك للشيعة وقد حاولت قبل ذلك ربطهم بإيران ثلاث مرات..

ولا يعني انشغال الحكومة بمواجهة تيار الجهاد أن الحكومة أعطت ظهرها للشيعة إنما هي مسألة أولويات أمنية..

وهنا تطرح أمامنا التساؤلات التالية:

هل تنظر الحكومة إلى الشيعة نظرتها للجماعات الإسلامية الأخرى..؟

هل للتيار الشيعي أهداف سياسية..؟

هل تفكر الحكومة في استخدام الورقة الشيعية في مواجهة الجماعات الإسلامية..؟

وبالنسبة للتساؤل الأول فإنه يمكن القول أن نظرة الحكومة للشيعة والجماعات هي نظرة واحدة من المنظور الأمن. فإن المحاذير الأمنية عند الحكومة عادة لا تختص بفئة دون فئة من شتى فئات المعارضة التي تواجهها..

وقد سعت جماعة الإخوان سعيا جاهدا من أجل إثبات حسن نواياها تجاه الحكومة أملا في الحصول على الشريعة وفي النهاية طوقت أنشطتها والتمهيدات جارية من أجل ضربها..

ويبدوا أن هناك عوامل خارجية تتحكم في موقف الحكومة تجاه القوى المعارضة لها خاصة التيار الإسلامي منها..

أما الحديث عن الأهداف السياسية للشيعة فهو محاولة استدراج لها من أجل إثارة الشبهات حول أنشطتها.. فإن جوهر التحريك ينحصر في دائرة محدودة وهي التمهيد أو التوطئة لظهور الإمام الغائب. وإن كانت الشيعة قد أقحمت في السياسة في بعض البلدان فهذا الأمر راجع لظروف الواقع وملابساته وليس للشيعة ذاتها..

وحركة التشيع في مصر إنما هي في طور النبو ولم تثبت قدمها على ساحة الواقع بعد وفوق ذلك هي حركة معلنه..

ولا يعني أن إيران تدين بالمذهب الشيعي أن شيعة العالم يقفون ورائها كالبنيان المرصوص. فهذا التصور فيه تجاوز كبير للحقيقة. فهناك قطاعات شيعية على خلاف مع إيران..

إن محاولة ربط الشيعة في مصر بإيران إنما هي مسألة سياسية بحتة لا صلة لها بالمذهب الشيعي ذاته..

إننا نرى المد السعودي قد اخترق الوسط الإسلامي والثقافي في مصر على أعين الحكومة. فهل تغاضي الحكومة عن هذا الوضع من باب الحرص على نشر المذهب الوهابي السني. أم أن المسألة سياسية ولا صله لها بالمذاهب..؟

ونحن نطرح هذا التساؤلات مع ملاحظة أن الخط السلفي الوهابي هو الأساس

الذي تعتمد عليه التيارات الإسلامية وفي مقدمتها تيار الجهاد. في مواجهتها للحكومة..
ومثل هذا الخط يأخذ امتداده على ساحة الواقع وله هيئاته ومؤسساته ودور النشر التابعة له في الوقت الذي أغلقت فيه جمعية آل البيت وأوقف نشاط جماعة التقريب وقبض على الشيعة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم..
وعلى الرغم من ذلك فإن الحكومة تفكر ألف مرة قبل فتح الباب أمام الشيعة كما أنها تفكر آلاف المرات قبل استخدامهم كورقة ضغط على الجماعات الإسلامية..
إنها حسابات سياسية وأمنية معقدة وهي تضع الحكومة أمام خيارات كل خيار أمر من الآخر..
إن التيار الشيعي في مصر اليوم يواجه عدة تحديدات داخلية تحول دون بروزه وانتشاره وهذه التحديدات تتمثل في ما يلي:
١ – عدم وجود مراجع أو وكلاء مراجع.. *
٢ – عدم وجود مساجد..
٣ – ندرة الكتاب الشيعي..
٤ – الضغوط الأمنية..
٥ – التعتيم الإعلامي..

---

* لا يوجد إمام للشيعة في مصر. ويذكر أن جريدة الأحرار الناطقة بلسان حزب الأحرار قد أجرت حوارا مزعوما تحت عنوان (إمام الشيعة في مصر يتحدث عن الارهاب) وقد اعتادت هذه الجريدة أن تفجر ما بين الحين والآخر قضايا وهمية تتعلق بالشيعة في مصر..

وهذه التحديدات بالطبع تعجزه وتحول بينه وبين البروز كتيار إسلامي له تطلعاته فضلا عن القيام بنشاط سياسي معاد للدولة.. وتيار هذا حاله كيف يمكن أن يشكل تحديدا للدولة..؟

إن حركة المد والزر في العلاقات المصرية الإيرانية تضع الشيعة في مصر أمام خيار واحد وهو الالتزام بالتقية حتى تنفرج الأوضاع..

ملاحق

ملحق (١)
خلفاء الدولة الفاطمية الشيعة في مصر
المعز لدين الله ٣٤١ – ٣٦٥ ه (٩٥٢ – ٩٧٥ م)
العزيز بالله ٣٦٥ – ٣٨٦ ه (٩٧٥ – ٩٩٦ م)
الحاكم بأمر الله ٣٨٦ – ٤١١ ه (٩٩٦ – ١٠٢٠ م)
الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ – ٤٢٧ ه (١٠٢٠ – ١٠٣٥ م)
المستنصر بالله ٤٢٧ – ٤٨٧ ه (١٠٣٥ – ١٠٩٤ م)
المستعلي ٤٨٧ – ٤٩٥ ه (١٠٩٤ – ١١٠١ م) منشأ البهرة
الآمر ٤٩٥ – ٥٢٣ ه (١١٠١ – ١١٣٠ م)
الحافظ ٥٢٤ – ٥٤٤ ه (١١٣٠ – ١١٤٩ م)
الظافر ٥٤٤ – ٥٤٩ ه (١١٤٩ – ١١٥٤ م)
الفائز ٥٤٩ – ٥٥٥ ه (١١٥٤ – ١١٦٠ م)
العاضد ٥٥٥ – ٥٦٧ ه (١١٦٠ – ١١٧١ م)

ملحق (٢)
المحضر الذي ظهر في عهد الحاكم من قبل الخلافة
العباسية طعنا في نسب الفاطميين
الجويني، كتاب تاريخ جهانكشاي، تحقيق سيد جلال،
طهران ١٢٥٢ ه – ص ٩٩ – ١٠٠
هذا ما شهد به الشهود، أن معد بن إسماعيل المستولي على مصر، هو معد بن إسماعيل عبد الرحمن بن سعيد، وأنهم منتسبون إلى ديصان ابن سعد الدين، ينتسب إليه الديصانية، وأن سعيدا المذكور صار إلى المغرب، ويسمى عبيد الله ويلقب المهدي، وأن هذا الناجم الحاكم بمصر هو منصور، الملقب بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والدمار – ابن نزار بن معد ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس – عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه – ولا يتعلقون منه بنسب، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، لم يتوقف أحد من أهل بيوتات الظالمين من إطلاق القول في هؤلاء، لأنهم خوارج أدعياء وأن هذا الإنكار لباطلهم كان سابقا بالحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب انتشر انتشارا عظيما، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق وزنادقة ملحدون معطلون، وللاسلام حاجزون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، وادعوا الربوبية، وكتب ذلك في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة، وشهد بذلك من العلويين الشرفاء: المرتضى والرضي الموسويان، وجماعة منهم، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبو حامد الإسفرايني، وأبو الحسن القدوري، وقاضي القضاة محمد بن أحمد، وأبو عبد الله البيضاوي.

ملحق (٣)
النجف الأشرف - - - بغداد في ٣١ / ٣ / ١٩٦٥
السيد سماحة آية الله الإمام الشيخ علي كاشف الغطاء
السلام عليكم ورحمة الله..
وبعد: يتشرف سفير الجمهورية العربية المتحدة بدعوة سماحتكم لحضور المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والذي ينعقد بالقاهرة من يوم الخميس ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٣٨٤ ه الموافق ٢٩ من نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ إلى يوم السبت ٨ من محرم سنة ١٣٨٥ ه الموافق ٨ من آيار (مايو) سنة ١٩٦٥ م. ويسرنا أن نتلقى موافقة سماحتكم على قبول هذه الدعوة..
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
السفير
أمين حامد هويدي
سفارة الجمهورية العربية المتحدة. ببغداد.
تحريرا في ٦ / ٤ سنة ١٩٦٥ سنة ١٣٨٤
السيد سماحة آية الله الإمام الشيخ علي كاشف الغطاء
السلام عليكم ورحمة الله..
إلحاقا لكتاب السفارة المؤرخ ٣١ / ٣ / ١٩٦٥ بدعوة سماحتكم لحضور المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والذي ينعقد بالقاهرة ابتداء من ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩٦٥.. أتشرف بالإحاطة إلى أنه قد تقرر تأجيل انعقاد المؤتمر السالف الذكر إلى يوم ١٣ آيار (مايو) سنة ١٨٦٥ وذلك بمناسبة موسم الحج.. ويسرنا أن نتلقى موافقة سماحتكم على قبول هذه الدعوة..
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
السفير
أمين حامد هويدي
نص برقيتي الدعوة المرسلة إلى الشيخ علي كاشف الغطاء لحضور مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني..

ملحق (٤)
نص الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ الإمام علي كاشف الغطاء بمناسبة ذكرى كربلاء وأذيعت من صوت العرب مساء العاشر من محرم عام ١٣٨٥ ه
١١ / ٥ / ٦٥: في تلك الغمرة العالمية من الاضطراب وفي ذلك الوقت الرهيب القلق الذي
ساد العالم الإسلامي وفي ذلك الحين من التسابق بين الفئات التي لم يستحكم الإيمان في قلوبها لاكتساب القوة الحاكمة ونوال الحظوة لديها.. كان يعز على أبي الضيم أبي الشهداء أن يقف مكتوب اليد ينظر إلى انهيار ما شيده جده رسول الله (ص) وأبوه أمير المؤمنين (ع) والصحابة المجاهدون بحشد جميع ما يملكون من قوى معاديه ومعنوية لإخراج الأمة الإسلامية في قالب بديع الوضع والنظام.
يعز على أبي الضيم أن تكون الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس بفضل التضحيات من سراة رجال الدين الحنيف أن تصبح تسودها اللا مبالاة واللامسؤولية تتخبط في بحر من الشلل والفساد وترزخ تحت كابوس الاستعباد من أهل الاستبداد بعبئه الثقيل يخبت أنفاسها، ويشل قواها، ويقعدها عن النمو والتقدم نحو مغانم المجد والسؤدد.
وهذا ما حدى بأبي الضيم أبي عبد الله الحسين أن ينتفض فيشمر عن ساعدي الجد ليتدارك الأمر ويتلافى سوء المغبة مع المخلصين من أبناء أمته في عملية الإنقاذ والصلاح.
فوقف (ع) في تلك الغمرة، عالما بالمغبة، عارفا بالمصير بقلب راسخ الإيمان كالطود الأشم وصرح بقوله (ع):
إن كان دين محمد لم يستقم * إلا بقتلي يا سيوف خذيني

وقف (ع) ووراءه جيش من الخيرة ما أظلت الخضراء وأقلت الغبراء قد علموا أن لهم الشمس التي تشرق بنورها الأيام والكهف الذي يحيى به الإسلام.
فزحف لإعادة دور الحياة الحرة لأمته من جديد وللقضاء على الفوضى والتشويق في جميع الميادين وبعثها ثورة عارمة زعزعت بناء المعتدين وزلزلت حصون العابثين. يستهدف (ع) بذلك بناء مجمع سليم من المساوئ والآفات، نزيه من الباطل والعاهات. متجرعا من الغصص والمحن ما لا تبرك الإبل على مثله مضحيا بنفسه ونفيسة في سبيل إعلاء كلمة الله والدعوة لدينه الحنيف تضحيات هزت العالم الإسلامي ومجدت التاريخ. تلمس في جوانبها وأطرافها مجدا وشرفا وهداية للحق وبداية للسعادة تجد فيها الدين والعقيدة. ترى فيها التضحية والفناء في حب الخير. تدرك فيها القيم الإنسانية بمثلها العليا. تضحية جعلت العدو يفقد رشده وصوابه حتى أصبح يتخبط في دم سيد الشهداء ويغرق ببحر من دماء السادة الصلحاء ويستبيح المدينة المنورة ويحاصر البيت الحرام ويقذف الكعبة بحجارة المنجنيق..
هذه صفحة من ثورة أبي عبد الله الحسين (ع) تقرأ فيها الخطط التي يجب أن يتخذها القادة والخطوات التي يلزم أن يتبعها السادة لنيل الأهداف الجليلة والغايات النبيلة.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ملحق (٥)
مكتب شيخ الجامع الأزهر
بسم الله الرحمن الرحيم
نص الفتوى
التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة
الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر
في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية
قيل لفضيلته: إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على
وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلا؟
فأجاب فضيلته:
١ – إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان – ولا حرج عليه في شئ من ذلك.
٢ – إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة.
فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر

والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونهم في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات. التوقيع
السيد صاحب الفضيلة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي
القمي السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية
سلام عليكم ورحمة الله..
أما بعد..
فيسرني أن أبعث سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضائي من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، راجيا أن تجعلوا في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسمهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها.
والسلام عليكم ورحمة الله..
شيخ الجامع الأزهر
التوقيع
نص فتوى الشيخ محمود شلتوت - وهو شيخ للجامع الأزهر - بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، مذيلة بخطاب منه إلى سكرتير جماعة التقريب بين المذاهب، لكي يحتفظ بها في سجلات الجماعة..

ملحق (٦)
نص حوار روز اليوسف مع الإمام علي بن كاشف الغطاء
عدد (١٩٣٠) ٨ يونيو ١٩٦٥
الإمام علي كاشف الغطاء يقول:
– الدين الإسلامي يساير الحضارة التي توفر السعادة للانسان
زواج المتعة يجب أن يطبق في كل أنحاء العالم
تحديد النسل جائز لمجرد أن الزوجة غير قادرة على تربية الأولاد
تحقيق يكتبه عبد الله إمام:
التقيت بأحد زعماء الشيعة في العراق:
قال لي إنه سيعقد مؤتمرا في العراق للتقريب بين المذهب الشيعي والمذهب السني حتى لا يترك للاستعمار وأعداءه وحدة الكلمة أن يغذوا الخلافات الطائفية.
تحدث عن زواج المتعة وشرح كيف يمكن يمكن للرجل أن يتزوج امرأة لمدة محدودة
شهرا أو شهرين أو ربما أقل بلا عقد مكتوب وبلا شهود مجرد موافقة شفوية بين الاثنين فقط.
وتحدث عن الأزياء والموضات وعن السينما والتمثيل والاختلاط، قال إنه لا يرى مانعا في أن تحدد المرأة نسلها ولكنه يعارض الإجهاض.
وإمام الشيعة جاء إلى القاهرة على رأس وفد من علماء الشيعة لأول مرة، واسمه الإمام آية الله علي كاشف الغطاء، إنه واحد من عائلة كاشف الغطاء التي تتزعم الشيعة في العراق منذ أكثر من ثلاثة قرون، ومقره مدينة النجف.

والإمام علي كاشف الغطاء هو أحد زعماء الشيعة في العراق، عمره اثنان وخمسون عاما، ولد في مدينة النجف وتخرج في مدرستها وهي أشبه بالأزهر الشريف.

وأعد قائمة طويلة من الكتب، أخذ يعددها لي بعضها من أربعين مجلدا، كتب تتضمن دراسات فلسفية ودينية وروحية ومناظرات، وأبحاثا عديدة في اللغة والنحو والأرواح والشياطين والجن والنفس.

لم يترك مجالا دون أن يكون له فيه دراسات ورأي، ومن أبرز آرائه التي قالها بمجرد أن جلست معه إننا نعيش الآن في عصر الصناعة كانت الحياة زمان ليس فيها شئ وأصبح فيها كل شئ، حتى الطعام كان زمانا صنفا أو ربما صنفين، وتطور كل شئ حتى أنواع الطعام، وإن واجب علماء الدين أن يلاحقوا هذا التطور الهائل، ولا يقفوا جامدين مكانهم، فالاسلام لا يمكن أن يصطدم بالحضارة الصحيحة التي تتجسم فيها سعادة الإنسان، بل إن الإسلام يوجب هذه الحضارة.

وهذه هي المرة الأولى التي يزور فيها الجمهورية العربية المتحدة ليحضر مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية، ومن المهم أن وفدا من علماء الشيعة جاءوا إلى المؤتمر وجاء وفد آخر من علماء السنة من العراق أيضا وجلسوا في قاعة واحدة تبادلوا فيها الرأي فيما يهم المسلمين، ويرى الإمام ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد كلمة المسلمين، فالفرقة لا يستفيد منها إلا المستعمر وليس هناك خلافات جوهرية في العقيدة بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

ولزعيم الشيعة موقف مشرف أثناء تأميم قناة السويس، فقد أصدر فتوى أيد فيها تأميم القناة ودعا فيها إلى مساندة الشعب المصري في معركته.

ولقد التقيت بالإمام في فندق أطلس بالقاهرة، وكان محددا لي أن أمضي معه نصف ساعة، فأمضيت معه أربع ساعات لم أمل خلالها من حديثه، وفتح لي الرجل قلبه، وأجاب على كل سؤال.

ومن الطبيعي أن أول سؤال لي كان عن أوجه الخلافات بين المذهب السني والمذهب الشيعي.

وقال: الخلافات ليست جوهرية، وأنا أعجب أن المسيحية رغم ما بينها من اختلافات في العقائد فهي متفقة، ونحن والحمد لله نتفق في العقيدة وإنما نختلف في الفروع، والانشقاق الطائفي تحول إلى ترنيمة عذبة يرقص عليها الاستعمار والطامعون، ونحن جميعا نؤمن أن الإسلام جاء للسعادة البشرية، ومما لا شك فيه أن الانشقاق الطائفي والمذهبي ضد السعادة.

الشئ الثاني أننا نقول إن كل شخص يتمسك بدينه الإسلامي ليعيش عيشة راضية في الآخرة وتختلف الأساليب لذلك، وفي الحياة تجد اختلافا في طرق المعيشة الأخروية، وإني أعتقد أنه لو خرج محمد (ص) للوجود لما رضي بهذا الانشقاق

وبهذا الاختلافات التي سلطت علينا الأعداء.

س – هل هناك محاولات للتقريب بين المذهبين؟

– نعم.. هناك محاولات عظيمة ولعل مجمع البحوث الإسلامية يكون أحد الأسباب القوية في التقريب بين مذهب التسنن والتشيع، وإني لأرجو له التوفيق في هذه الأعمال التي ترفع مستوي الإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي تبلبلت فيه الأفكار وانعدمت فيه المثل العليا.

س – هل بذلت هذه المحاولات فعلا؟

– لقد ظهرت بوادرها في المؤتمر الأخير لمجمع البحوث الإسلامية، وأهمها ما كنا نلمسه من أعضائه من فتح باب للاجتهاد فهي خطوة موفقة للتقريب بين المذهبين.

س – على مستوي الجمهورية العراقية هل بذلت هذه المحاولات؟

– الجمهورية العراقية جادة بكل قواها لجمع الصف ووحدة الكلمة، وأن ما تقوم به من الأعمال الدينية تبشر بالخير لإزالة الفرقة وتوحيد الكلمة، وعندما أعود إلى العراق فسوف أعقد مؤتمرا إسلاميا في العراق لنعرض فيه مشاكل المسلمين

والحوادث التي تمر عليهم وسنلتقي فيه برجالات السنة وعلمائهم، ونأمل أن نوفق في هذا المؤتمر إلى توحيد كلمة المسلمين والقضاء على الطائفية.
س – الحقيقة أن هناك بعض الأحكام في المذهب الشيعي تتطلب فهما، أنا مثلا لا أفهم حكاية زواج المتعة؟
قبل أن أشرح لك زواج المتعة أقول إنه لا حل لمشكلة الزواج بين الرجل والمرأة إلا بزواج المتعة وسيجئ يوم على العالم يكون الزواج فيه نوعا من هذا القبيل، وزواج المتعة زواج مؤقت بعقد محدود الأجل، كأن يتزوج الإنسان لمدة شهر أو شهرين أو سنة، وعند انتهاء مدة العقد تنتهي آثاره، ويستطيع الرجل أن ينهيه في أي وقت، والعقد هنا غير مكتوب.
س – هناك شهود؟
– نحن لا نحتاج إلى شهود في الزواج عموما، ولكن في الطلاق لا بد من شهود، على أن الأولاد الذين من هذا الزواج يلحقون بالرجل، وإذا انتهى العقد وكانت المرأة حاملا لا تتزوج حتى تضع وليدها، فإذا لم تكن حاملا فإنها تمضي العدة.
س – هل يمكن أن يكون هذا الزواج لمدة يوم أو أسبوع؟
– يمكن ولكن هذا لا يحدث عادة.
س – وما الحكمة بوجوده بجوار الزواج الدائم؟
– هو في صالح المرأة والأسرة فإن فيه حلا لمشاكل الطلاق، ويجعل المرأة تعيش في حرص على أن يستمر هذا الزواج ويتجدد، ولقد جربنا ما يقع من نتائج للعقد المؤقت للزواج فوجدنا نتيجة الدوام.
س – ولكن ذلك يجعل المرأة تعيش قلقة طول حياتها؟
– تعيش المرأة حياتها تحرص على جو التفاهم بينها وبين زوجها، وأنا أعتقد أن مشاكل الزواج لن تحل إلا بالعقد المنقطع، وسيأتي يوم كما قلت لا يكون الزواج إلا بالعقد المؤقت، هذا فضلا عن أن هذا الزواج يعصم من الانحراف.

س – هل يدفع الرجل نفقة للزوجة بعد ذلك؟
لا إلا إذا اشترطت ذلك، ولكنه لا بد أن يدفع مهرا.
س – هل له إذا كان متزوجا بأربعة أن يتزوج زواج المتعة أيضا إلى جانب ذلك؟
– يمكن ولكن أي رجل يستطيع ذلك، ولا بد أن تعرف أن الإنسان أحيانا يمر بلحظات ضعف فيكون الموقف إما زنا، أو عقد زواج متعة، والأفضل هو عقد المتعة.
س – والطلاق، إن الأصوات ترتفع عندنا تطالب بتحديده؟
– نعم لا بد أن يحدد، وعندنا هناك عوائق كثيرة ضد الطلاق، فالطلاق المعلق لا يقع، والطلاق في حالات الغضب لا يقع، وأثناء الحيض لا يقع، وفي طهر واقعها فيه لا يقع، ولا بد أن يكون أمام شاهدين من الشهود العدول، بالاختصار لا بد من وضع قيود على الطلاق وإلا يكون لغوا.
س – هناك أصوات أخرى تطالب بمنع تحديد تعدد الزوجات؟
– هذا يسبب من الخسارة أكثر مما يسبب من نفع، وأنا لا أوافق على ذلك.
س – يثور أيضا حديث حول أزياء المرأة وخروجها على المألوف فما رأيكم في ذلك؟
الإسلام جاء لرفع مستوى المرأة وهو يمنع من تبرجها، وأعتقد أن الصالح يقضي بذلك أيضا حتى لا تدخل في شؤون الرجال، فاشتراكها في شؤون الحياة تكلفها العناء والجمع بين موجبات البيت وموجبات العمل للرزق والثاني مهمة يصلح لها الرجل كما أن تبرجها ضرر عليها، فالرجل عندما يرى المرأة الأجنبية بهذا الشكل والهندام يصبح في صراع نفسي بالنسبة لزوجته وقد يزهد عنها، كما أن المتبرجة التي تظهر بهذا المظهر الخلاب لا تبقى على هذا المظهر ويخرج زوجها فيرى متبرجات.
س – أليس للمرأة إذن أن تعمل؟
الدين لا يمنع من عملها ضمن الحدود الدينية، ولكن هذا يكلفها فوق طاقتها.

س – تحديد النسل قضية مثارة الآن في بعض البلاد الإسلامية فما هو رأيكم فيها؟
– أولا لا يجوز إسقاط الجنين في كل مراحل تكوينية، وبعد ذلك فإن للمرأة أن تستعمل ما يمنعها عن الحمل، أما استعمالها لذلك فهو يختلف باختلاف الظروف والأحوال، بل باختلاف استعداد نفسها للتربية، فإذا كانت لا تستطيع أن تربي أولادها فلا مانع من منع الحمل أساسا.
س – بعض رجال الدين يحرمون السينما فما رأيكم؟
– السينما التي هي منافية للأخلاق فالدين لا يقبلها، أما التي تبعث في النفوس المثل العليا، فهذه لا بأس بها ونقول بجوازها.
س – والتمثيل في حد ذاته؟
– التمثيل إذا كان فيه خلاعة أو تشجيع على الرذيلة فهذا لا نرضى به وهو محروم ولا تقبله الحضارة الصحيحة.
س – والغناء؟ – الصوت الحسن لا مانع من استماعه بشرط ألا يخرج الإنسان عن حدوده.

ملحق (٧)
نص رسالة مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ محمد حسين مخلوف إلى الشيخ الشعراوي حينما كان وزيرا للأوقاف يحرضه فيها على الشيعة وجماعة التقريب..

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل
الشيخ الشعراوي حفظه الله
تحيات وإجلال.. وبعد..

فقد هال الناس ما نشرته الصحف بما دار بينكم وبين داعية الشيعة الإمامية من الحديث والآراء، ومعلوم على ما أجمع عليه أهل السنة بشأن الإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الخليفة بعده هو أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي وأن ما ذهب إليه الشيعة الإمامية بعد الرسول لعلي بن أبي طالب
ثم لمن يليه إلى الإمام الثاني عشر باطل في القول الزور.

وكذلك من الباطل ما يزعمه بشأن الإمام الثاني عشر وخروجه آخر الزمان قرب الساعة ومعه ما حذف من القرآن بشأن خلافة علي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى آخر ما هو مكتوب في كتب الشيعة الإمامية في هذا الشأن.

كما أنه معلوم لفضيلتكم ما قام به هذا الداعية من إنشاء (جماعة التقريب) وإنشاء مجلة لها بمصر وانطواء الشيخ شلتوت لها مع نفر من المنحرفين عن أهل السنة والجماعة وما حرص عليه من وجوب تدريس مذهب الشيعة الإمامية بالأزهر أسوة بالمذاهب الأربعة ما تبع ذلك من أقوال وأعمال.

إن افترق أمة الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة وإنها كلها في النار إلا واحدة وهي أهل السنة والجماعة وهم من كانوا على ما عليه الرسول وأصحابه معلوم

لفضيلتكم وإن بلادنا مذ حماها الله من التشيع الضال وأقام أهلها على مذهب أهل السنة والجماعة ينصحون بكتاب الله وسنن رسول الله ويفعلون السنن عن الرواة الأمناء كما في كتب السنة وغيرها من كتب الحديث.

ومعلوم لفضيلتكم ما يقوله الشيعة الإمامية وغيرهم من فرق الشيعة البالغة خمس عشرة فرقة في شأن الخليفة الحق أبي بكر الصديق وأصحابه الذين بايعوه ومنهم عمر ابن الخطاب من الطعن الشديد.

وما يفعلونه ويقولونه في المدينة المنورة إلى الآن حين يحضرون للزيارة من الكلام والأعمال التي ينكرها الإسلام بإجماع ويحكم عليها بالبطلان، ونحن جميعا ندعو إلى الإسلام الحنيف وإلى الاعتصام بكتابه العزيز وسنن نبيه الكريم، ونعتمد في رواية السنن على الكتب الستة المعروفة وعلى الكتب الجارية على سننها وتقرر في كتب الفقه على المذاهب الأربعة كل ما جاء في الكتاب والسنة صحيحة وننبذ ظهريا كل ما افترته الشيعة جميعا من الإمامية وزيدية وغيرهما.

ونعيش مع الفرق ذوي الأهواء والنحل التي لم تخرج عن الإيمان بالله ورسوله معيشة هادئة طيبة لا تكفير فيها لفريق من الفرق.

أما مع الفرق الضالة التي تزعم ما هو كفر وضلال فلا يمكن أن نقرها على شئ من مزاعمها بل ننبذه تماما، ونرفع راية الإسلام عالية نقية.

لذلك نقول أن الشيعة الإمامية مبطلة في مزاعمها بشأن الخلافة، وفي حكمها بجواز النكاح المتعة، مخالفة لما ثبت في السنن من بطلانه. ونقول إنهم مسلمون ولكن مبطلون في مخالفة أهل السنة والجماعة، وحسبهم وحسبنا ذلك. ويجب أن نكون نحن وهم قوة واحدة للدفاع عن الإسلام وصد هجمات أعدائه من أهل الأديان الأخرى، ومن ذول ملل والنحل الضالة الأخرى المذكورة في كتب الفرق قديما وفي التاريخ الحديث كالقاديانية والبهائية والماسونية وغيرهم من فرق الضلال والجحود.

ولا أريد أن أطيل على فضيلتكم في الحديث.

وانما أريد إكرام الضيف لكن لا على حساب أهل السنة والجماعة، ولا على حساب نشر مذهب التشيع الإمامي وغير الإمامي في بلادنا التي برأها الله من الضلال والابتداع في الدين.
وإن مساعيه لإقامة مذهبه بمصر في مشيخة الشيخ شلتوت للأزهر وترغيب بعض علماء الأزهر في الانضمام لجماعته و مجلته بما يرغب معروف للجميع.
فنرجو أن تكون فضيلتكم كما أنتم داعيا إسلاميا قويا تدعو إليه بما دعا إليه أهل السنة والجماعة، منكرا ما ذهب إليه أهل البدع والأهواء. ومن الخير لكم بل من الواجب عليكم بعد كل هذا أن تبين للناس رأيكم في التشيع عامة والتشيع الإمامي خاصة، وأنكم لا زلتم نصير أهل السنة والجماعة قولا وعملا والله تعالى يوفقك.
وأخشى ما أخشاه أن يستغل الشيعة الإمامية موقفكم للدعوة إلى نحلتكم ويقولوا إن إماما من أئمة المسلمين فد انضم إلى مذهبهم وهو الداعية المعروف الشيخ الشعراوي.
أعاذك الله من ذلك، وأبقاك عزا للإسلام، وداعيا قويا إلى نصر أهل السنة والجماعة القائمين على قدم الرسالة العظمى بحق ويقين وإخلاص قوي متين.
والله الموفق.
محبكم
حسنين محمد مخلوف

ملحق (٨)
قائمة بأسماء بعض شيوخ وعلماء الأزهر الذين تعاملوا مع الشيعة وناصروها
الشيخ سليم البشري * شيخ الأزهر المتوفى عام ١٩١٦
الشيخ محمد مصطفى المراغي * شيخ الأزهر
الشيخ محمد شلتوت * شيخ الأزهر
الشيخ أحمد حسن الباقوري * وزير الأوقاف ومدير جامعة الأزهر
الشيخ حسن المأمون * شيخ الأزهر
الشيخ محمد الفحام * شيخ الأزهر
الدكتور عبد الحليم محمود * شيخ الأزهر
الشيخ عبد الرحمن بيصار * شيخ الأزهر
الشيخ أحمد الشرباصي * من علماء الأزهر
الشيخ محمد أحمد المدني * من علماء الأزهر
الشيخ علي الخفيف * من علماء الأزهر
الشيخ عبد العزيز العيسي * وزير شؤون الأزهر
الشيخ عبد الرحمن النجار * من علماء الأزهر
الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف * مدرس بالأزهر
الشيخ محمد أبو رية * من علماء الأزهر
الدكتور علي عبد الواحد وافي * مدرس بالأزهر
الشيخ عطية صقر * من علماء الأزهر
الشيخ السيد سابق
الشيخ محمد متولي الشعراوي
الشيخ محمد الغزالي

ملحق (٩)
جدول يبين موقف الشيعة من الصحابة
الصحابي – الموقف – السبب
أبو ذر غفاري – من شيعة الإمام علي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته
عمر بن خطاب – مخالفته نصوص الوصية للإمام علي والاجتهاد علي النصوص
أبو بكر – مخالفته وصية الرسول للإمام علي وخصومته للإمام وفاطمة
عمار بن ياسر – من شيعة الإمام علي
عثمان بن عفان – خصومته للإمام علي وكونه يمثل خط بني أمية
سلمان الفارسي – من شيعة الإمام علي
المقداد – من شيعة الإمام
معاوية – كونه من الطلقاء والمشكوك في إسلامهم
جابر بن عبد الله – من شيعة الإمام
حذيفة بن اليمان – من شيعة الإمام
المغيرة بن شعبة – من خصوم الإمام وأنصار الخط المعادي لآل البيت
عمرو بن العاص – السبب السابق
سعد بن أبي وقاص – السبب السابق
أبو أيوب الأنصاري – من شيعة الإمام
عبد الرحمن بن العوف – السبب السابق
الزبير بن العوام – السبب السابق
أبو هريرة – من خصوم الإمام ووضاع الأحاديث على الرسول
عائشة – السبب السابق
أم سلمة – من شيعة الإمام
خزيمة ذي الشهادتين – من شيعة الإمام
أبي بن كعب – من شيعة الإمام

ملحوظة:
يرفض الشيعة الاعتراف بعدد كبير من الصحابة للأسباب التالي:
- عدم استيفاء تعريف الصحابي عليهم
- انحرافهم عن الخط النبوي بعد وفاة الرسول
- الانحراف عن النصوص وتجاوزها
- وضع الأحاديث على الرسول
- بغض الإمام علي ومخاصمته
- التحالف مع معاوية

ملحق (١٠)
نموذج لبعض الكتب الشيعة التي طبعت في مصر
أصل الشيعة وأصولها
المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي
التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية
المراجعات
الشيعة وفنون الإسلام
أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة
الحرب العراقية الإيرانية
المختصر النافع في فقه الإمامية
تفسير شبر
تبصرة المتعلمين في أحكام الدين
حركة آل البيت
الفخري في الأحكام السلطانية
فدك
وسائل الشيعة ومستدركاتها
نهج البلاغة
مع رجالات الفكر في القاهرة
الوضوء على ضوء الكتاب والسنة والسجود على التربة الحسينية
نحو وحدة الإسلامية

عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى
علي ومناوئوه
كيف نقهر الخوف (دار البداية)
المجتمع الإسلامي (دار البداية)
البعث الإسلامي (دار البداية)
دعائم الإسلام
المناظرات
العودة إلى الذات
الإمام الصادق ملهم الكيمياء
علي لا سواه
الثقلان: كتاب الله وعترتي
الشيعة ونشأة العلوم الإسلامية
دلائل الصدق وهو رد على الروزبهاني الذي رد على كتاب العلامة الحلي
- نهج الحق وكشف الصدق -
فقهيات بين السنة والشيعة

ملحق (١١)
نموذج لبعض الكتب التي صدرت ضد الشيعة وإيران في مصر
الكتاب – المؤلف – التيار
بين الشيعة وأهل السنة – إحسان إلهي ظهير – سلفي
الفتنة الخمينية – سعيد حوي – إخوان
عقيدة الإمامة عند الشيعة – علي السالوس – سلفي
وجاء دور المجوس ١ / ٢ – عبد الله الغريب – سلفي
الشيعة في الميزان – محمد النحراوي – سلفي
العقائد الشيعة – ناصر شاه – سلفي
موقف الخميني من أهل السنة – إحسان الهي ظهير – سلفي
شهادة الخميني في الصحابة – محمد الشقرة – سلفي
موقف الخميني من الشيعة والتشيع – محمود ناصح – سلفي
الخميني وتزييف التاريخ – محمود الشقرة – سلفي
الخطوط العريضة – محب الدين الخطيب – سلفي
ماذا بعد البصرة – علي جريشة – إخوان
الشيعة المهدي الدروز – عبد المنعم النمر – أزهري
الشيعة والتصحيح – موسى الموسوي – معارض
بداية الشر ونهج البربر – رجاء المكي – سلفي
الخميني أبرهة الجديد – عبد المنعم قنديل – سلفي
إلحاد الخميني في الحرم – مقبل الوادعي – سلفي
الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام – محمد مال الله – سلفي
الخميني وتفضيل الأئمة على الأنبياء – محمد الشقرة – سلفي
حوار مع الشيعة – عبد المتعال الجبري إخوان
شهادات واقعية من داخل إيران – عبد المنعم الغزالي يسار
أخطار الثورة الإيرانية على العالم العربي حسنين كروم – يسار –
رهينة خميني – مترجم – معارض –
الثورة البائسة – موسى الموسوي – معارض
قدسية الحرمين الشريفين – اعداد – سلفي
بروتوكولات خميني وآيات قم – د. عبد الله الغفاري – سلفي
قدسية الحرمين الشريفين – جاد الحق – أزهري
إيران بعد سقوط الخميني – موسى الموسوي – معارض

ملحق (١٢)
المصور: ماذا ترى فيما هو حادث الآن في إيران، وما هي الدروس المستفادة؟
التلمساني: أولا الإيرانيون يأخذون بالمذهب الشيعي ونحن قوم سنيون والذي بين الشيعة والسنيين من خلاف ومصدره الشيعة وليس أهل السنة عميق وخطير، وحين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه، مع ما بين أهل الشيعة وأهل السنة من خلاف جذري في العقائد، أيدناه لوجود شعب مظلوم كان حاكمه يظلمه أشنع الظلم وأبشعه.. وحين يتمكن هذا الشعب من التخلص من ذلك الاضطهاد لا نملك أن ننكر ذلك عليه، نحن أيدناه من الوجهة السياسية لأن شعبا مظلوما استطاع التخلص من حاكم ظالم واستعاد حريته، ولكن من ناحية العقيدة السنة شئ والشيعة شئ آخر، ما يجري الآن في إيران من مذابح وأمور خطيرة كنت أظن أنه مبالغ في وصفه، ولكن ممن أثق بهم كل الثقة، وممن يترددون بين إيران وبين أماكن أخرى أكدوا أن كثيرا جدا مما ينشر في الصحف حقيقة، وأنا لا أقر هذا.
المصور: هل ما يجري في إيران اليوم يعتبر في نظرك مثالا للدولة الإسلامية؟
التلمساني: لا..
المصور: لماذا؟
التلمساني: لأنه لا يطبق فيها شرع الله، أنا لا أطلب من الحاكم إلا تطبيق شرع الله فقط، هذا كل ما يعنيني من الحاكم سواء كان أفندي أو خواجة أو بعمة أو سواء كان حافيا، ما دام يطبق شرع الله.
المصور: المشكلة إن الخميني يقول إنه يتكلم باسم الله؟
التلمساني: هذه مشكلة هو يتحملها.. ولا يتحملها الإسلام.. كل ما يدعو لدعوة يؤاخذ عليها.

المصور: ما الذي تأخذه الآن على نظام الخميني حتى يتجنبه المسلمون؟
التلمساني: أولا أنا لا أقر أن يعامل الشعب من حكامه بمثل هذه القسوة، ومن حق أي إنسان في العالم أن يعارض الحكم كما يشاء.. ولذلك لا يوجد في الإسلام العنف الذي نسمع عنه، والذي يجري الآن في إيران وبالصورة التي أقرؤها وأسمع عنها لا يرضيني، أنا لا أقر الاغتيال بأي صورة من الصور، ولا أقر العنف، أنا أرى أنا عثمان قتل مظلوما وكذلك الذهبي – وزير الأوقاف الذي اغتالته جماعة التكفير في منتصف السبعينات – والسادات.. لأن الإدانة بأية جريمة في المجتمع الإسلامي حسب الشريعة الإسلامية لا بد وأن يتولاها القضاء، كما أن التنفيذ لا بد وأن يتولاه الإمام ولا يوجد في الشرع الإسلامي ما يبيح على وجه الإطلاق – ابتداء من عهد عثمان حتى الآن – لشخص أن يتولى القضاء والتنفيذ في وقت واحد.

– نص حوار عمر التلمساني مرشد الإخوان الراحل لمجلة " المصور " حول الشيعة وإيران عام ٨٢..

ملحق (١٣)
نموذج لبعض الكتب المدافعة عن الشيعة وإيران التي صدرت في مصر
الكتاب * المؤلف
إيران من داخل إيران – فهمي هويدي
بين الشيعة وأهل السنة – علي عبد الواحد
الثورة الإيرانية ١ / ٢ – الدسوقي شتا
الحركة الإسلامية في مصر – صالح الورداني
الشيعة والسنة ضجة مفتعلة ومؤسفة – إسلام محمود
مراقد أهل البيت في القاهرة – محمد زكي إبراهيم
السقيفة والخلافة – عبد الفتاح عبد المقصود
دعوة التقريب – مجموعة العلماء
علي إمام المتقين – عبد الرحمن الشرقاوي
علي امام الأئمة – أحمد حسن الباقوري
أهل البيت – توفيق أبو علم
إسلام بلا مذهب – مصطفى الشكعة
أهل القبلة كلهم موحدون – محمد زكي إبراهيم
علي بن أبي طالب – عبد الفتاح عبد المقصود
رسالة إلى الدعوات الإسلامية – جمال البنا
مذبحة الحرم – صالح الورداني
الخميني. الحل الإسلامي والبديل – فتحي عبد العزيز

ملحق (١٤)
الأعلام
علي بن أبي طالب (ع) – الحسين بن علي (ع)
المقريزي – زينب بنت علي
عثمان بن عفان – نفيسة بنت الحسن
معاوية بن أبي سفيان – مالك الأشتر النخعي
جوهر الصقلي – محمد بن أبي بكر
المعز لدين الله الفاطمي – القاضي النعماني
العزيز بالله الفاطمي – المسبحي المؤرخ
الحاكم بالله الفاطمي – بدر الجمالي
ابن ابن الأثير المؤرخ – الأفضل بن بدر الجمالي
ابن إياس الحموي – طلائع بن رزيك
ابن تعزي بردي – زيد بن علي
ابن خلكان – الشيخ سليم البشري
صلاح الدين الأيوبي – أحمد أمين
العاضد الفاطمي – محمد حسنين هيكل
نور الدين الشهيد – الشيخ محمد الفحام
أسد الدين شيركوه – جمال الدين الأفغاني
بهاء الدين قراقوش – الشيخ حسن المأمون
شهاب الدين المقدسي – جمال عبد الناصر
القلقشندي – عبد السلام عارف
عمر مكرم – طه حسين
رفاعة الطهطاوي – الخميني
أحمد عرابي – حسن البنا
جعفر الصادق (ع) – الشيخ عبد الحليم محمود
السيوطي – المستنصر الفاطمي
ياقوت الحموي – المستعلي الفاطمي
ابن تيمية – مصطفى صادق الرافعي
الشيخ محمود شلتوت..

مراجع الكتاب

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، ط. القاهرة
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري، ط. القاهرة
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن اياس الحموي، ط. القاهرة
الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط. بيروت
البداية والنهاية، ابن أثير، ط. بيروت
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، المقريزي، ط. القاهرة
وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ط. القاهرة
أعيان الشيعة، محسن الأمين، ط. بيروت
الولاة والقضاة، الكندي، ط. القاهرة
مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، د. سعاد ماهر، ط. القاهرة
السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ط. القاهرة
الروضتين في أخبار الدولتين، شهاب الدين المقدسي، ط. القاهرة
معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط. بيروت
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، السيوطي، ط. القاهرة
الحاوي للفتاوي، السيوطي، ظ. بيروت
شذورات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ط. بيروت
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، ط. بيروت
أصل الشيعة وأصولها، آل كاشف الغطاء، ط. القاهرة

مع رجالات الفكر في القاهرة، مرتضى الرضوي، ط. القاهرة
تجارب مغنية، محمد جواد مغنية، ط. بيروت
زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ط. القاهرة
الخطط التوفيقية، ط. القاهرة
دعائم الإسلام بذكر الحلال والحرام، القاضي النعماني، ط. القاهرة
الحياة الفكرية في مصر من الفتح العربي، د. محمد كامل حسين، ط. القاهرة
عيد الغدير عند الفاطميين، محمد هادي الأميني، ط. بغداد
بين النجف والأزهر، كاظم الكفائي، ط. بغداد
دعوة التقريب، مجموعة علماء، ط. القاهرة
المستنصر الفاطمي، د. عبد المنعم الماجد، ط. القاهرة
الشيعة والسنة ضجة مفتعلة ومؤسفة، د. إسلام محمود، ط. القاهرة
البخاري ومسلم وكتب السنن

صدر للمؤلف: في منهج العمل الإسلامي صدر عام ١٩٨٦
جذور التناقض في الواقع الإسلامي صدر عام ١٩٨٦
الحركة الإسلامية في مصر (رؤية واقعية لمرحلة السبعينات) صدر عام ١٩٨٧
الحركة الإسلامية في مصر (واقع الثمانينات) صدر عام ١٩٨٩
الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية صدر عام ١٩٩٠
حركة آل البيت (صودر)
مذكرات معتقل سياسي (ثلاث سنوات تحت التعذيب) صدر عام ١٩٩١
* تحت الطبع: مذكرات عربجي (وجه مصر في العشرينات)
عقائد السنة وعقائد الشيعة: التقارب والتباعد
السيف والسياسة في الإسلام
الإسلام والعمل السياسي
فقهاء النفط
العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف
فقه الهزيمة: دراسة في أصول الفكر السلفي
أحاديث اخترعتها السياسية
رحلتي من السنة إلى الشيعة
مصارع الأحكام في التاريخ الإسلام
السلفيون والشيعة
جريمة الرأي في التاريخ الإسلام